HESJ
Humanities and Educational Sciences journal

مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية

ISSN: 2617-5908

مجلـــــة

العلوم التربوية والدراسات الإنسانية

سلسلة الآداب والعلوم التربوية والإنسانية والتطبيقية

Humanities and Educational Sciences Journal
Arts, Educational, Humanities and applied Sciences Series

مجلة دورية علمية محكمة

تصدر عن دائرة الدراسات العليا والبحث العلمي
جامعة تعز فرع التربة - اليمن

العدد (٧) ديسمبر ٢٠١٩م

مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية

ISSN: 2617-5908

مجلـــة
العلـــوم التربوية والدراســـات الإنســـانية

سلسة الآداب والعلوم التربوية والإنسانية والتطبيقية

مجلة دورية محكمة تصدر عن

دائرة الدراسات العليا والبحث العلمي

جامعة تعز- فرع التربة

العدد (٧) ديسمبر ٢٠١٩م

هيئة التحرير
المشرف العام
أ.د/ محمد الشعيبي
رئيس التحرير
أ.د/ أحمد غالب الرياصي
مدير التحرير
أ.د/ سليمان المعمري
د/عبد الجبار الأصبحي مراجع لغوياً (لغة عربية)
د/توفيق الكناني مراجع لغوياً (لغة انجليزية)
التنسيق والإخراج
أ/ جواهر سلطان فارع

مستشارو التحرير

١	أ.د/ أحمد بن حميد البادري	كلية التربية بالرستاق عُمان
٢	أ.د/ داوٗد عبد الملك الحدابي	جامعة صنعاء
٣	أ.د/ عبد الحكيم الحكيمي	جامعة تعز
٤	أ.د/ عبد الغني الشيخ	جامعة إب
٥	أ.د/ عبد الله أحمد الذيفاني	جامعة تعز
٦	أ.د/ عبدالله خطايبة	جامعة اليرموك الأردن
٧	أ.د/ عبد الله عثمان المنصوري	جامعة أم القرى
٨	أ.د/عبد المسيح سمعان	جامعة عين شمس
٩	أ.د/ عبد الوهاب فرحات	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة بالجزائر
١٠	أ.د/ محمد عبد الله الصوفي	جامعة صنعاء
١١	أ.د/ محمد سعيد صباريني	جامعة اليرموك الأردن
١٢	أ.د/ محمد إبراهيم الصانع	جامعة ذمار
١٣	أ.د/ محمد عبد الله البريدي	جامعة الملك خالد السعودية
١٤	أ.د/ نادية محمد سلام	جامعة عدن
١٥	أ.د/ ناصر بن علي الجهوري	وزارة التعليم العالي سلطنة عُمان
١٦	أ.د/ نبيل صالح سفيان	جامعة تعز

ترسل البحوث وجميع المراسلات إلى مدير تحرير
مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية
دائرة الدراسات العليا والبحث العلمي
جامعة تعز_ فرع التربة- تعز- الجمهورية اليمنية
هاتف: ٧٧١٢٢١٣٢٤
Email: hesjedu@Gmail.com
موقع المجلة: hesj.org/ojs

التعريف بالمجلة:

مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية مجلة علمية محكمة إلكترونية وورقية تصدر بشكل دوري، مهنية مستقلة وبإشراف كامل من دائرة الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة تعز فرع التربة وفق المعايير الدولية المعتمدة.

تعنى المجلة بنشر البحوث الأصيلة في العلوم التربوية والدراسات الإنسانية والتطبيقية باللغتين العربية والإنجليزية من نتاج الباحثين داخل الجامعة وخارجها والتي لم يسبق نشرها من قبل، كما تستقبل المجلة نشر ملخصات رسائل الماجستير والدكتوراه بعد إجازتها علميًا.

قواعد وإجراءات قبول النشر في المجلة:

أولاً: قواعد النشر:

تنشر مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية البحوث التي تُرسل إليها وفقًا للقواعد الآتية:

١- أن يكون البحث أصيلًا وتتوافر فيه شروط ومعايير البحث العلمي المتعارف عليها في كتابة البحوث العلمية.

٢- لا يتجاوز عدد صفحات البحث عن (٢٥) صفحة متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع والأشكال والملاحق، وفي حالة زيادة البحث عن هذا العدد يلتزم المؤلف بتسديد مبلغ (١٠٠٠) ألف ريال عن كل صفحة زائدة.

٣- يُكتب البحث بخط (Simplified Arabic) للغة العربية، و(Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم خط (١٢) على ورق مقاس(A4) والعناوين الرئيسة بحجم خط (١٤) غامق والعناوين الفرعية بحجم خط (١٢) غامق، والهوامش بحجم خط (١٠)، وتكون هوامش الصفحة (٢,٥) سم من جميع جهات الصفحة، وحجم الورقة على مقاس (١٧سم) عرض و(٢٥سم) ارتفاع، بحيث تكون تباعد الأسطر (مفرد)، مع ضرورة إرفاق (CD) مطبوع عليه البحث على برنامج (Ms Word) باستخدام النظام المتوافق مع IBM.

٤- الجداول والرسومات والأشكال يُراعى أن تكون مناسبة لمساحة صفحة المجلة بالحواشي وتكتب بخط (Times New Roman) وبحجم (١٢) غامق وتكتب بخط واضح مع توضيح محتوياتها داخل المتن.

٥- لا تعتمد المجلة نمطًا واحدًا في كتابة تقرير البحث، نظرًا للتنوع المتعدد في طبيعة البحوث العلمية كمًا ونوعًا، إلا أنه في الغالب يتكون البحث من الأجزاء التالية:

- مقدمة تتضمن طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه والإطار النظري له والدراسات السابقة جزءًا منها ومدمجة بدون عناوين بارزة.
- مشكلة البحث وأهدافه وأسئلته والفروض.
- أهمية الدراسة والحدود والمصطلحات.
- إجراءات البحث ويتضمن منهج البحث والمجتمع والعينة وأداة البحث وصدق وثبات الأداة وإجراءات التطبيق وطريقة تحليل البيانات.
- نتائج البحث وتتضمن عرض النتائج ثم تفسيرها وتحليلها ومناقشتها ثم كتابة التوصيات المنبثقة عنها والاستنتاجات.

٦- أن يكون البحث ملتزمًا بدقة التوثيق للمراجع والمصادر حسب نظام الرابطة الأمريكية لعلم النفس (American Psychological Association (APA6) للنشر العلمي. يُشار إلى المراجع داخل المتن بذكر اسم المؤلف العائلي، والسنة ورقم الصفحة بين قوسين كما يلي:
(Crstin,2013, 12) أو (الصانع،٢٠٠٩، ٢٠) ويُشار إلى ذلك بالتفصيل في قائمة المراجع، وتوثق بالتسلسل الهجائي لاسم المؤلف العائلي بحيث تذكر المراجع العربية أولاً ثم الأجنبية.

أ)- بالنسبة للكتاب: فيبدأ المرجع بذكر الاسم الأخير للمؤلف، ثم بقية الاسم كاملاً، ثم توضع سنة النشر بين حاصرتين. فعنوان الكتاب غامق. يلي ذلك رقم الطبعة، ثم يذكر اسم دار النشر: بلد النشر. مثال على ذلك:

الصانع، محمد إبراهيم .(٢٠٠٩). **التربية البيئية لطلبة الجامعات**. ط٤، مركز عبادي للدراسات والنشر والتوزيع: صنعاء، اليمن.

ب)- بالنسبة للدوريات: فيبدأ بذكر الاسم الأخير للمؤلف، ثم بقية الاسم كاملاً، ثم توضع سنة النشر بين حاصرتين. ثم عنوان البحث. ثم اسم المجلة غامق، ثم مكان صدورها، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد، ثم أرقام الصفحات.

مثال: المعمري، سليمان عبده أحمد (٢٠١٨). مستوى اكتساب طلبة المستوى الرابع بكلية التربية بالتربة للمهارات الحياتية وعلاقته بدرجة ممارستهم لها أثناء التدريب الميداني. مجلة العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة البحرين، ١٩(٣)، ص٣٩٩-٤٢٨.

جـ)- المنشورات الإلكترونيّة: يُشار إليها فقط في الهوامش، وليس في قائمة المراجع وينبغي أن تتضمن الإحالة وتاريخ الزيارة.

٧- يلتزم المؤلف في حالة قبول بحثه للنشر بدفع مبلغ (عشرين ألف ريال) كرسوم تحكيم ونشر في المجلة للباحث من دخل الجامعة و(ثلاثون الف ريال) من خارج الجامعة، و(١٥٠) مئة وخمسون دولار من خارج اليمن.

٨- تحتفظ المجلة بحق إجراء تعديلات في الصياغة والترتيب، حسب مقتضيات النشر على ألا تؤثر هذه التعديلات في محتوى النص.

٩- تعتذر المجلة عن عدم النظر في البحوث المخالفة للتعليمات وقواعد النشر.

١٠- في حال الموافقة بشكل نهائي على النشر، تؤول حقوق النشر كافة تلقائيًا إلى "مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية".

١١- ما يُنشر في المجلة يُعبر عن وجهة نظر الباحثين أنفسهم.

ثانيًا: إجراءات النشر:

١- يرسل الباحث ثلاث نسخ من بحثه (نسخة تتضمن اسم الباحث/الباحثين) ونسختين بدون أسماء أو أي إشارة إلى هوية الباحث أو الباحثين وعناوينهم متوافقًا مع برنامج وورد (Word2010) تحت نظام التشغيل (Windows).

٢- يُرفق ملخصين للبحث بالعربية والإنجليزية بواقع (١٥٠) كلمة لكل منهما على صفحة مستقلة مع كتابة الكلمات المفتاحية الخاصة بالبحث (Key Words) مع ضرورة اشتمال صفحة غلاف البحث على عنوان البحث واللقب العلمي والمؤسسة التي ينتمي إليها الباحث والقسم والتخصص والهاتف والايميل إن وجود.

٣- تجري هيئة تحرير المجلة التقويم الأولي للبحث، ثم يُعرض على محكّمين من ذوي الخبرة العلمية في مجال التخصص، وتلتزم المجلة إخطار الباحثين بالقرار النهائي بشأن الموافقة على النشر من عدمها على أن يلتزم الباحث إجراء أي تعديلات قد يطلبها المحكمون من أجل إجازة البحث أو الدراسة للنشر في المجلة، ولا تُرد الأعمال غير المقبولة إلى أصحابها مع بيان أسباب رفض البحث.

٤- على الباحث أن يقدم نسخة من الملاحق أو أدوات البحث من إعداده (إن وجدت).

٥- في حالة ردود ملاحظات من المحكمين ترسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها على أن يُعاد إرسال البحث بعد إجراء التعديلات إلى المجلة.

٦- على الباحث أن يُقدم تقريرًا خطيًا يؤكد بأن البحث لم يُنشر كليًا أو جزئيًا ورقيًا أو إلكترونيًا، وألا يكون مرشحًا للنشر في الوقت نفسه في وسائل نشر أخرى.

هيئة تحرير المجلة

محتـــويـــات العدد السابع

م	الأبحـــاث	رقم الصفحة
١	درجة امتلاك معلمي التربية الخاصة للكفايات التكنولوجية التعليمية وعلاقتها بأدائهم التدريسي في المنطقة الجنوبية بالمملكة العربية السعودية. **د/ حسان علي بني حمد.....**	١ ـ ٢٣
٢	التنمية المهنية لقادة مدارس التعليم العام بنجران في ضوء متطلبات مجتمع المعرفة. **د/ فؤاد شبيب الخصاونة.....**	٢٤ ـ ٤٩
٣	تكامل المعنى بين القراءات المتواترة في سورة الكهف. **أ.د/ عبدالله عثمان علي المنصوري.....**	٥٠ ـ ٨٠
٤	الدور التنويري للشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي في مدينة المخا (٧٥٥-٨٢٨هـ/١٣٥٣-١٤٢٥م). **د/ سعيد ناجي غالب قائد اسكندر.....**	٨١ ـ ١٠٤
٥	إبداع الدلالة الرمزية في ديوان (مُشقّر بالسحابة) للشاعر محمد عبد الباري الفتيح. **د/ رضوان عبدالحليم علي الأسودي.....**	١٠٥ ـ ١٢٦
٦	الاتصالات الإدارية وأثرها في فاعلية اتخاذ القرارات في المنشآت الفندقية العاملة بمدينة عدن "دراسة تطبيقية باستخدام تحليل المسار". **د/عبد الملك حمود عبد القادر هزبر.....** **د/عبد العالم محمد محمد.....** **د/ فهمي محمد احمد الصلوي.....**	١٢٧ ـ ١٥٢
٧	نداءات سورة الحجرات دراسة تحليلية. **أ.د/ عزالدين صالح مناري.....**	١٥٣ ـ ١٨٥
٨	التربية اللغوية لتلاميذ مرحلة التعليم الأساس رؤية تجديدية تأصيلية في المناهج الدراسية. **د/ محمد علم الدين معروف.....**	١٨٦ ـ ٢٠٢
٩	التركيب القرآني.. تقنيات البناء وثراء الدلالة "قراءة في عينة من السور القرآنية". **د/ عبد القوي محمد أحمد الحصيني.....**	٢٠٣ ـ ٢٢٨
١٠	سمات الداعية المؤثر عند ابن رجب الحنبلي في كتابه جامع العلوم والحكم "دراسة استقرائية". **د/ محمد بن فهد الحربي.....**	٢٢٩ ـ ٢٥٤
١١	مدى ممارسة مربيات رياض الأطفال لحقوق الطفل في المدارس الحكومية بأمانة العاصمة صنعاء-اليمن. **د/ جبريل عزي حميد البريهي.....**	٢٥٥ ـ ٢٨١
١٢	مدى توافر أمثال الدافعية في كتاب (الثروة اليمنية من الأمثال الشعبية) وإمكانياتها في إثراء المقررات النفسية بالجامعات اليمنية "دراسة تحليلية". **د/ جميل محمد أحمد الحصيني.....**	٢٨٢-٣١١

١٣	أسلوب استخدام وسائل التواصل الاجتماعي الالكترونية وعلاقته بالانتماء لدى طالبات الجامعات بالسعودية. **د/ منى بنت عبدالعزيز الخنيني.....**	٣١٢-٣٤٢
١٤	الأنباط واللّغة الآرامية: (دراسة تاريخية وصفية). **د/ هايل خليفة إبراهيم الدهيسات.....**	٣٤٣-٣٦٣
١٥	تأثير المشاريع الصغيرة والمتوسطة في دحر المشكلة السكانية في اليمن دراسة لعينة من ملاك المشاريع والعاملين في المشاريع الصغيرة والمتوسطة بأمانة العاصمة أنموذجاً. **الباحث/عبد الرب علي صالح الصياد.....** **أ.د/ أحمد محمد الحداد.....**	٣٦٤-٣٩٦
١٦	Female Consciousness in Torday's Salmon Fishing in the Yemen. **D. Baleid Taha Shamsan Saeid……..**	1-22

مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية

ISSN: 2617-5908

نداءات سورة الحجرات دراسة تحليلية(*)

إعداد

أ.د/ عزالدين صالح مناري
الأستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بجامعة أم القرى

(*)-تاريخ تسليم البحث ٢٠١٩/٩/٢١م تاريخ قبوله للنشر ٢٠١٩/١٠/١٢م

ملخص البحث

هذا البحث: نداءات سورة الحجرات، يستهدف دراسة تلك النداءات وتحليلها بقصد استخراج الهدايات القرآنية التي فيها، وبيانها للناس إسهاما في التعريف بأسس جانب من المشكلات الاجتماعية التي تمزق نسيج المجتمع، وبيان معالم العلاج القرآني لتلك المشكلات وأسسها.

ويتضح من نتائج البحث أن صلاح الفرد والمجتمع من أهم مقاصد القرآن الكريم عموما وسورة الحجرات خصوصا، وأن نداءات سورة الحجرات تتجه إلى التحلية والتخلية في نفس الوقت، لتطهير المجتمع وتنمية خيريته. وقد بينت تلك النداءات جانبًا كبيرًا من ركائز البناء الاجتماعي في النفس والحياة، كما أنها وضعت عددًا من التحصينات الاجتماعية التي تمنع من تسرب الخلل إلى أساسات الفاعلية الاجتماعية وتعالج ما قد يتسرب منه في أحوال الضعف والاستخذاء.

وقد عينت النداءات بعض منافذ الهدم المجتمعي: كالغيبة والنميمة والتنابز والتجسس والسخرية.. كأمثلة دالة على غيرها، ليتنبه المجتمع وقواه الفاعلة إلى تلك الموارد السلبية فيستهدون بهدي القرآن في صدها أو معالجتها وأمثالها، ويحصنون المجتمع من تلك الأمراض بسياجات الخير والنجاح والقوة.

وهذه الهدايات لا تختص بزمن أو مكان وإنما هي هدايات مستمرة تقوم على تشخيص النفس والطبيعة الإنسانية التي لا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة.

ومن أهم ما بينته تلك النداءات أن الإسلام دين عالمي يمكن أن يقدم الخير للبشرية جمعاء بغض النظر عن أجناسهم ومعتقداتهم. وأنه الدين الذي يتسنى له توحيد البشرية وإصلاحها.

كلمات مفتاحية: نداءات، سورة الحجرات، السخرية، التعاون، التعارف

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا تتقادم هداياته، فهو دستور صالح لكل زمان ومكان.

وإن مما ينبغي اقتباسه من القرآن الكريم: الهدايات التربوية السلوكية، ففيها صلاح للفرد والمجتمع، ومن أوضح السور بيانا للسلوكيات القويمة الفردية والاجتماعية سورة الحجرات، فهي متضمنة لطائفة واسعة من الآداب الاجتماعية التي نحن بحاجة إلى إعمالها في حياتنا المعاصرة؛ ذلك لما نراه ونلاحظه في مجتمعاتنا اليوم من ابتعاد عن هدايات القرآن، بل لا نبعد إن قلنا بوجود انحراف عنها، وإنْ بمستويات متفاوتة. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث للإسهام في تنمية الإيجابية والفاعلية المثمرة، وللحد من السلبية والتمزق الاجتماعي.

وقد قصدت إلى سورة الحجرات بالدراسة والبحث لأساهم في بيان جانب مهم من هدايات القرآن الكريم على المستوى الفردي والاجتماعي، مبينا تلك الهدايات بما يدعو إلى صلاح الأمة الإسلامية وينشر جوانب الخير والفلاح فيها. وقد سميت بحثي هذا: نداءات سورة الحجرات دراسة تحليلية.

مشكلة البحث: ويمكن أن تتجلى مشكلة البحث فيما نراه اليوم في حياة الأفراد والمجتمع من تفشي موجبات التفرق والتناحر وانتشار أمراض اجتماعية قاتلة، من غير إحساس بالخطر أو بالإثم من كثير من الذين يمارسونها، ومن غير إنكار عليها من المطلعين أو المشاهدين لها.

أهداف البحث:

١. بيان جانب من الأمراض الاجتماعية التي سببت وتسبب تمزيق المجتمع وتفككه.

٢. بيان جانب من مقومات بناء المجتمع الصالح في هدي القرآن الكريم.

٣. الإسهام في معالجة جانب من المشكلات الاجتماعية البارزة.

منهجية البحث: يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي.

خطة البحث: قمت بتقسيم الخطة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المقدمة وفيها: أهمية البحث ومشكلته، وأهداف البحث ومنهجية البحث.

المبحث الأول: مدخل لدراسة النداءات في سورة الحجرات.

المبحث الثاني: النداءات في سورة الحجرات. وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: النداء الأول في سورة الحجرات.

المطلب الثاني: النداء الثاني في سورة الحجرات.

المطلب الثالث: النداء الثالث في سورة الحجرات.

المطلب الرابع: النداء الرابع في سورة الحجرات.

المطلب الخامس: النداء الخامس في سورة الحجرات.

المطلب السادس: النداء السادس في سورة الحجرات.

الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مدخل لدراسة النداءات في سورة الحجرات:

الدارس للإسلام يجد أنه قرر المسؤولية على الفرد وعلى المجتمع وفحوى هذه المسؤولية الإيمان بالله تعالى ومراقبته في القول والفعل، يقول تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [ق: ١٨] ويقول تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شر يره﴾ [الزلزلة: ٧-٨] ويقول تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ [الإسراء: ٣٦] ويقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ [التحريم:٦]. وهذه المسؤولية لها أساس ومقومات.

الأساس، وله جانبان:

أ- عبادة الله بمفهومها الشامل، إذ تجعل حياتك كلها لله تعالى، ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [الأنعام: ١٦٢]، والنبي ﷺ يقول: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[(١)].

وقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة، فقال: «هي اسم جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة»[(٢)].

والعبادة لها مصدران:

الأول: الإخلاص: يقول تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة :٥].

الثاني: الاتباع: يقول تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١] ويقول ﷺ: « تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ"»[(٣)].

ب- الحاكمية لله تعالى: والقصد منها التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

المقومات، ولها ثلاثة جوانب:

أ- الأخلاق:

فتمام دعوة الرسول ﷺ مبنية على الأخلاق «بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حسنَ الْأَخْلَاقِ»[(٤)]، وقد وصف الله نبيه بعظيمها بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم: ٤]، بل إن الأخلاق هي البر كله، فعن النواس بن سمعان قال: «سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال البر حسن الخلق والإثم ماحاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[(٥)]، وهناك نصوص كثيرة في الموضوع يرجع إليها في مظانها.

وتأكيدا لهذا نسوق التطبيقات التالية: ففي الصلاة مثلاً أمرنا بتوقيتها لقوله تعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾[النساء:١٠٣]،كما أمرنا بالمحافظة عليها﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وبتمثل أخلاقها ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت:٤٥].

---

(١)- صحيح مسلم: كتاب الإيمان. باب عدد شعب الإيمان. (١/ ٦٣) رقم: ٣٥

(٢)- العبودية: شيخ الإسلام: ابن تيمية: ص ٥٠.

(٣)- موطأ مالك (٢/ ٨٩٩) رقم: ٣.

(٤)- موطأ مالك (٢/ ٩٠٤) رقم: ٨، والبخاري في الأدب المفرد، «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» ص ١٠٤، رقم ٢٧٣ .

(٥)- صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب باب تفسير البر والإثم. (٤/ ١٩٨٠) رقم: ٢٥٥٣.

وفي عبادة الحج نجد أخلاقها في قوله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق وجدال في الحج﴾ [البقرة: ١٩٧]، وفي الصيام نجد قولهﷺ: «وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» [(١)].

وفي الزكاة قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ [البقرة:٢٦٤] وهكذا نجد مثل هذا الربط بالأخلاق في كل عبادة من العبادات.

وتمثِّل سورة الحجرات [(٢)] أبهى صورة الأخلاق [(٣)]، أخلاق المؤمنين مع الله ومع رسوله ﷺ ومع المؤمنين بعضهم بعضا ومع البشرية قاطبة، وسأجلي ذلك بمشيئة الله عند عرض النداءات الموجودة في السورة.

ب- الأنظمة التي تنظم علاقة الأفراد بعضهم ببعض.

ج – العادات والأعراف السليمة التي لاتتعارض مع التشريع الإسلامي [(٤)].

وسورة الحجرات مدنية باتفاق[(٥)]، غير أنه حُكي قول شاذ بأنها مكية[(٦)]، وللقرآن المدني مميزات، منها:

١- المقاطع الطويلة.

٢- ذكر المنافقين وصفاتهم والتحذير منهم.

٣- التشريعات التفصيلية.

٤- محاجة أهل الكتاب.

٥- الحدود والفرائض.

٦- نظام الأسرة.

٧- الجهاد.

٨ – البدء بنداء المؤمنين في الأغلب[(٧)].

عدد آيات السورة:

وعدد آي سورة الحجرات ثماني عشرة آية، وأول ما يبرز للنظر عند مطالعتها هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة لعالم رفيع كريم نظيف سليم متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم، والتي تكفل قيامه أولاً وصيانته آخرا، عالم له أدب مع الله وأدب مع رسوله ﷺ وأدب مع غيره، وختمت فصولها مع هبة من الله تتعلق بالإيمان ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ [الحجرات: ١٧]، ويقرر ذلك الإمام الرازي عند تفسيره السورة، فيقول: «هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله ورسوله ﷺ أو مع غيرهما من أبناء الجنس،

---

(١)- صحيح البخاري: كتاب الصوم، باب فضل الصوم، (٣/ ٢٦) رقم: ١٩٠٤.

(٢)- والحجرات جمع حجرة كالغرفات جمع غرفة والظلمات جمع ظلمة، وقيل الحجرات جمع الحُجر وهو جمع حجرة فهو جمع، وفيه لغتان ضم الجيم وفتحها، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢٠-٢٠٥، والجامع لأحكام القرآن القرطبي: ج٤ – ص ٢٠٥ .وسميت السورة بهذا الاسم نسبة إلى الحجرات التي كانت تسكنها أمهات المؤمنين، وذلك لحديث السورة عن حرمات بيوت النبي ﷺ.

(٣)- والسورة في الأمر بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب: فتح الباري: ج٨ ص ٤١٣، الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص ٣٠٠.

(٤)- قد فصّل الدكتور عبد العزيز الخياط في هذين المقومين. انظر كتابه المجتمع المتكافل في الإسلام.

(٥)- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ج٤، ص ٢٠٥والمحرز الوجيز: ابن عطية ج٢/ص١٦٠.

(٦)- الإتقان في علوم القرآن: ج١، ص ٣٢.

(٧)- انظر مثلاً: أضواء البيان في تاريخ القرآن (ص: ١١٩) صابر حسن محمد أبو سليمان، الناشر: دار عالم الكتب – الرياض، عام النشر: ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

وهم على صنفين، لأنهم إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة أو خارجا عنها وهو الفاسق، والداخل في طائفتهم السالك لطريقتهم إما أن يكون حاضرًا عندهم أو غائبًا عنهم[1].

المناسبات في السورة:

وللسورة تناسب[2] مع سابقتها (سورة الفتح)، فقد بدأت الحجرات بالنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، وختمت بالنهي عن المن على الله ورسوله، وفي ذلك إرشاد إلى ضرورة تعظيم الله تعالى، وبدأت الفتح بوصف الله سبحانه بالعلم وختمت بمثل ذلك، مما يوحي كذلك بعظمة الله ووجوب تعظيمه.

وذكر الله في أواخر سورة الفتح حقيقة محمد ﷺ ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفاء رحماء بينهم﴾ إلى قوله تعالى ﴿وأجرا عظيما﴾ [الفتح: ٢٩]، وجاء الخطاب في بداية سورة الحجرات مبينًا شأن رسوله ﷺ أيضا، ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ [الحجرات: ١]، ولما وصف الله المؤمنين بالرحمة والشدة على الكفار وسطر ذلك في الكتابين من التوراة والإنجيل ﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل﴾ [الفتح:٢٩] وذكر الله سمات المسلمين مع قائدهم محمدﷺ في أواخر سورة الفتح وجاء التناسب بنفس الوصف في بداية سورة الحجرات.

ولا يخفى تآخي السورتين— الفتح والحجرات– لكونهما مدينتين ومشتملتين على أحكام متشابهة، فتلك فيها قتال الكفار وهذه فيها قتال البغاة[3]، وتلك ختمت بالذين آمنوا[4] وهذه فتحت بالذين آمنوا، وتلك تضمنت تشريفا لهﷺ خصوصا مطلعها وهذه في مطلعها أنواع التشريف له ﷺ[5].

وقد ذكر الأستاذ المراغي ثلاثة وجوه لهذه المناسبة مع سورة الفتح هي:

١– قتال البغاة.

٢– الاختتام بوصف الذين آمنوا والافتتاح بهم.

---

(١)– مفاتيح الغيب: الرازي: ج٢٧ ص ١١٨ .

(٢)– فعلم المناسبة علم شريف ومن أول من كتب فيه أبو بكر النيسابوري يقول عنه الإمام السيوطي «عزيز العلم في الشريعة والأدب» انظر الإتقان في علوم القرآن: ج٣ ص٢٢٢. وقد اشترط له العز بن عبد السلام حسن ارتباط الكلام بأن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يُصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه». البرهان في تناسب سورة القرآن: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي: ص ٦٨.

والأمر الكلي المفيد لعرفان المناسبات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر إلى ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب. انظر الإتقان في علوم القرآن: ج٣ ص ٢٢٣.

ومناسبة السور نجده في مجموعة منها، وأسوق مثالاً واحد بين سوريتي الفاتحة والبقرة يقول السيوطي: «قد ظهر لي بحمد الله وجوها من وجوه المناسبات أن القاعدة التي استقر بها القرآن أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها وشرح له وإطناب لإيجازه وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل مجالات الفاتحة » انظر تفصيل ذلك : تناسق الدرر في تناسب السور: جلال الدين السيوطي. دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا: ص ٥ إلى ١٠، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

(٣)– فقتال الكفار في الفتح معروف لأنها فتح مكة وقتل البغاة في الحجرات، جاء في قوله تعالى:﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ [الحجرات:٩].

(٤)– ختام الفتح ﴿وعد الله الذين أمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ [المائدة:٩] وفي افتتاح الحجرات ﴿يا أيها الذين أمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ [الحجرات:١] .

(٥)– تشريفه ﷺ في الفتح ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذلك وما تأخر﴾[الفتح :٢] وتشريفه في الحجرات ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ [الحجرات:٣] .

٣- التشريف والتكريم لرسول الله ﷺ في مطلعيهما [١].

وقد أبدع في هذا التصوير للتناسب الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير في كتابه البرهان في تناسب سور القرآن حيث قال: "لما وصف سبحانه عباده المصطفين من صحابة نبيه والمخصوصين بفضيلة مشاهدته وكريم عشرته فقال: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) فأثنى سبحانه عليهم وذكر وصفه تعالى لهم بذلك في التوراة والإنجيل، وهذه خصيصة انفردوا بمزية تكريمها وحرت على واضح قوله تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" (آل عمران: ١١٥) وشهدت لهم بعظيم المنزلة لديه، ناسب هذا طلبهم بتوفية الشعب الإيمانية (والجري قولا وفعلا وعملا ظاهرا وباطنا على أوضح عمل وأخلص نية، وتنزيههم عما وقع من قبلهم في مخاطبات أنبيائهم" [٢].

النداءات في سورة الحجرات:

النداء لغة: قال سيبويه: «هو كل اسم مضاف فيه» [٣]، وهو أسلوب لغوي بلاغي يهدف فيه المتكلم إلى طلب إقبال المنادى أو جذب انتباهه عن طريق مناداته باسمه أو بصفة من صفاته أو استدعائه لأمر أو طلب [٤].

والنداء اصطلاحًا: طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو ملفوظ به أو مقدر، وحروف النداء ثمانية [٥]، وجعلها السيوطي في سبعه إذ أسقط- آي-[٦].

ولتكرار النداء فوائد:

١- أن يكون في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد، كما في قول لقمان: ﴿يا بني لا تشرك بالله﴾ [لقمان:١٣] ﴿يا بني إن تك مثقال حبة﴾ [لقمان: ١٦] ﴿يا بني أقم الصلاة﴾ [لقمان:١٧].

٢- لئلا يتوهم متوهم أن المخاطب ثانيًا غير المخاطب أولاً.

٣- ليعلم أن كل واحد من الكلامين مقصود وليس الثاني تأكيدا للأول.

وقد تكرر النداء بـ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ في القرآن الكريم تسعة وثمانين موضعا [٧] منها ست مرات في سورة الحجرات كما أسلفت. والخطاب للمؤمنين يقتضي المؤمنات بحكم أنهن شقائق في الأحكام، كما قال عليه الصلاة والسلام «النساء

---

(١)- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي: ج٢٦ ص ١١١.

(٢)- انظر ص ١٦٨ من الكتاب تقديم دار إحياء التراث: بيروت الدكتور سعيد جمعه الفلاح. دار ابن الجوزي . ط الأولى ١٤٢٨.

(٣)- الكتاب: ج٢ ص ١٨٢ تحقيق عبد السلام هارون ط٣ – ١٩٨٣.

(٤)- انظر اللمع البهية في قواعد اللغة العربية، محمد عوض: ص ٣٣٩ ، ط١- ١٩٩٩م دار الأرقم.

(٥)- أولاً: ياء ، ثانيًا أيا – ثالثا حيا – رابعًا: أي – خامسًا – أ سادسًا – آ – بالمد، سابعا – وا – ثامنًا آي – بالمد. انظر تفصيل ذلك في: المقتضب: أبو العباس المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة ج٤- ص ٢٣٤ عالم الكتب – بيروت.

وأسلوب النداء في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية في السور المكية: عبد الرحمن بن أحمد المقري:ص ١٣.

(٦)- انظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٢/ ٣٤)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية – مصر، د. ت.

(٧)- البقرة : ١٠٤ – ١٥٣- ١٧٢ – ١٧٨ – ١٨٣ – ٢٠٨ – ٢٥٤ – ٢٦٤ – ٢٦٧ – ٢٧٨ – ٢٨٢. آل عمران: ١٠٠ – ١٠٢ – ١١٨ – ١٣٠ – ١٤٩ – ١٥٦ – ٢٠٠ . النساء : ١٩ – ٢٩ – ٤٣ – ٥٩ – ٧١ – ٩٤ – ١٣٥ – ١٣٦ – ١٤٤. المائدة : ١- ٢- ٦- ٨ – ١١ – ٣٥ – ٥١ – ٥٧ – ٨٧ – ٩٠ – ٩٤ – ٩٥ – ١٠١- ١٠٦. الأنفال: ١٥- ٢٠ – ٢٤ – ٢٧ – ٢٩ – ٤٥. التوبة: ٢٣- ٢٨ – ٣٤ – ٣٨ – ١١٩ – ١٢٣. الحج: ٧٧ – النور : ٢١- ٢٧ – ٥٨. الأحزاب: ٩ – ٤- ٤٩ – ٥٣ – ٥٦ – ٦٩ – ٧٠ . محمد: ٧ – ٣٣ – الحجرات: ١- ٢- ٦ – ١١ – ١٢- ١٣. المجادلة : ٩ – ١١ – ١٢. الحشر: ١٨ الممتحنة: ١- ١٠ – ١٣. الصف: ٢- ١٠ – ١٤ الجمعة: ٩ المنافقون: ٩. التغابن: ١٤ التحريم: ٦- ٨.

شقائق الرجال»[1].

وذكر خطاب المؤمنين في سورة الحجرات ست مرات وكل نداء له عظة وعبرة نفصلها لاحقا، وهذا النداء من الله لعباده المؤمنين فيه إيمان العبد لربه بكل ما شرع، إيمان القلب واللسان والجوارح، إيمان الإخلاص لرب أمر المؤمنين بذلك ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله له الدين حنفاء﴾ [البينة:٥]، وإيمان الطاعة والانقياد، ويقدم بين ذلك شكر[2] العبد لهذا الإيمان.

المبحث الثاني: النداءات في سورة الحجرات

المطلب الأول: النداء الأول في سورة الحجرات

﴿يا أيها الذين أمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾[3] [الحجرات:١].

هذا النداء يبرز مكانة رسول الله ﷺ[4]، وتظهر تلك المكانة من خلال قيام المؤمنين بعدة أعمال، هي:

١- حبه ﷺ: لقوله: «ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[5]، ولقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[6]، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيل الله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [التوبة:٢٤]، قال فيها الشيخ عبد الرحمن السعدي: أعظم دليل على وجوب حب الله ورسوله ﷺ، وعلى تقديمهما على محبة كل شيء»[7].

٢- الطاعة والاتباع له: لقوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء:٨٠] وقوله تعالى: ﴿وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾[النور: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران:٣١] وقوله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا من يأبى يا رسول الله؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن

---

(١)- سنن الترمذي: كتاب الطهارة باب فيمن استيقظ فير بللا ولا يذكر احتلاما، (١/ ١٨٩)رقم: ١١٣.

(٢)- شكر القلب واللسان والجوارح، قال ابن القيم «هو عكوف القلب على محبة المنعم ولهج اللسان بالحمد والثناء وانقياد الجوارح بالطاعات» مدارج السالكين ج٢ ص ١٣٦ وقال فيه الإمام الجنيد « إن حقيقة الشكر ألا تستعين بنعم الله على معصيته»، حلية الأولياء وطبقة الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني الشافعي: ج١٠ ص ٢٨٦.

وقال الإمام الشبلي: « الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة» تاج العروس: ج١ ص ٣٠٢٥.

(٣)- حوت السورة لفظ الإيمان خمس عشرة مرة رغم أن السورة كلها لم تتجاوز ثمان عشرة آية بدأ السورة بنداء الإيمان وأنهت بنعمة الإيمان ﴿ بل الله يمن عليكم إن هداكم للإيمان﴾.

(٤)- فقد زكاه الله تعالى في لسانه ﴿وما ينطق على الهوى﴾ [النجم:٣]. وزكاه في صدره فقال: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ [الشرح: ١]. وزكاه في بصره فقال تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ [النجم: ١٧]. وزكاه في قلبه فقال: ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١]. وزكاه في عقله فقال: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ [النجم: ٢]. وزكاه في علمه فقال تعالى: ﴿علمه شديد القوى﴾ [النجم:٥]. وزكاه في ذكره فقال تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤]. وزكاه في دينه فقال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾. وزكاه في خلقه فقال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم :٤].

(٥)- صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ، (١/ ٢) رقم ١٦.

(٦)- صحيح البخاري: كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، (١٢/١)رقم ١٥.

(٧)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ج١ص٣٣٩.

عصاني فقد أبى»[1].

٣- عدم مخالفته: لقوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور:٦٣]، والضمير في «عن أمره؟ راجع إلى، الرسول ﷺ أو إلى الله والمعنى واحد لأن الأمر من الله والرسولُ مبلّغ عنه[2]، وجاء نفر إلى بيته ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقال: أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم أنا أصلي الليل أبدا، وقال الآخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء الرسول ﷺ، فقال: أأنتم الذين قلتم كذا وكذا. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصلي وأرقد وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب سنتي فليس مني»[3]، ومنها قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر:٧]، وقد بين ﷺ إذ قال: « فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[4].

٤- التسليم لحكمه: لقوله تعالى: ﴿فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء:٦٥]، فهي حقيقة كلية من حقائق الإسلام جاءت في صورة قسم مؤكد، مطلقة من كل قيد، وليس هناك مجال للوهم والإيهام بأن تحكيم رسول الله ﷺ هو تحكيم شريعته ومنهجه.

٥- الصلاة عليه ﷺ: وإن من إجلال مكانة الرسول ﷺ الصلاة عليه، لقوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه ويسلموا تسليما﴾ [الأحزاب:٥٦]. فهذه الآية شرف الله بها رسوله عليه السلام في حياته وموته، وذكر منزلته منه، وطهر بها سوء من فعل من استصحب في جهته فكرة سوء[5]، فيالها من مرتبة سنية حيث تردد جنبات الوجود ثناء الله على نبيه ﷺ ويتشرف به الكون كله وتتجاوب به أرجاؤه، ويثبت في كيان الوجود ذلك الثناء الأزلي القديم الأبدي الباقي وما من نعمة ولا تكريم بعد هذه النعمة وهذا التكريم، واختلف العلماء في وجوبية الصلاة عليه، عليه الصلاة والسلام، فمنهم من جعلها فرضا مرة في العمر، ومنهم من جعلها واجبة كلما جرى ذكره، ومنهم من قال تجب مرة في كل مجلس وإن تكرر ذكره عليه الصلاة والسلام، ومنهم من جعلها واجبة مثل السنة المؤكدة[6]. غير أن الذي أميل له الصلاة عليه كلما ذكر اسمه، للآية الآنف ذكرها إذ جاءت بصيغة الأمر مع صفة تؤكد ذلك.

وهناك سلسلة من الأحاديث تشير إلى فضل الصلاة عليه ﷺ[7].

---

(1)- صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب الاقتداء بسنة الرسول ﷺ بالكتاب والسنة، (٩/٩٢)رقم ٧٢٨٠.

(2)- أضواء البيان: الشنقيطي: ج٦، ص ١٧٧.

(3)- صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٧/ ٢) رقم:٥٠٦٣.

(4)- صحيح مسلم: بَابُ فَرْضِ الْحَجِّ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ (٢/ ٩٧٥) رقم: ٤١٢.

(5)- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ج١٤ ص ٢٣٢.

(6)- فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رقي المنبر فلما رقي الدرجة الأولى قال آمين ثم رقي الثانية فقال آمين ثم رقي الثالثة فقال آمين. فقالوا يا رسول الله سمعناك تقول آمين ثلاث مرات ؟ قال: لما رقيت الدرجة الأولى جاءني جبريل فقال شقي عبد أدرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر له فقلت آمين. ثم قال: شقي عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة. فقلت: آمين. ثم قال شقي عبد ذكرت عنده ولم يصل عليك فقلت آمين». أخرجه الطبراني في المعجم الوسيط ج٤ص١٦٢، وقد ضعف النووي إسناده. انظر الأذكار: ص ١٢٢.

(7)- منها: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة »، سنن الترمذي، (٢/ ٣٥٤) رقم: ٤٨٤. «من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي»، صحيح ابن حبان : صحيح ابن حبان (٣/ ١٩٠) رقم ٩١٠. وعن أبي بن كعب أنه قال قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي؟ فقال ما شئت فقلت الربع قلت ما شئت وإن زدت كان خيرا لك

فالنداء الأول في السورة ﴿يا أيها الذين لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ قد تضمن هذا النداء لزوم توقير النبي ﷺ وتعظيمه واحترامه، وهو كقوله تعالى: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه﴾ [الفتح:٩]، وقوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾[النور:٦٣]، وقوله تعالى: ﴿فالذين امنوا به وعزروه ونصروه﴾ [الأعراف:١٥٧] وهي آداب شرعية معه ﷺ، وقد جسدها معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال له: «بم تحكم قال بكتاب الله، قال ﷺ فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله، قال ﷺ فإنلم تجد؟ قال: اجتهد رأي. فضرب في صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله»[١] ، فقد أخر رضي الله عنه رأيه حتى يستشير ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب تقديم بين يدي الله ورسوله[٢] ، وهذا ما فعل الصحابة رضوان الله عليهم في حجة الوداع ، كما جاء في حديث أبي بكرة نقيع بن الحارث الثقافي. قال: سأل رسول الله ﷺ الصحابةَ أي شهر هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال أليس ذلك ذا الحجة ؟ قلنا بلى. قال: أي بلد هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال: أليس هذا البلد الحرام؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: في أي يوم هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسمه بغير اسمه، فقال: أليس يوم النحر قلنا بلى يا رسول الله»[٣] ، ومنها سؤاله ﷺ لعمر.« أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم»[٤] . فهذا السكوت من الصحابة ليس عن عدم علم؛ لأن الإجابات بدهية، ولكن ذلك تأدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم.

ولهذا النداء ثلاثة أوجه:

الأول: أن فيه مضارع قدّم اللازم، بمعنى تَقدّم، ومنه مقدمة الجيش ومقدمة الكتاب، وهذا أصح الوجوه ويدل عليه قراءة يعقوب «لا تَقدَّموا» بفتح الياء والدال المشددة، وأصله تتقدموا بحذف التاءين[٥] .

الثاني: أنه مضارع قدم المتعدي والمفعول محذوف، أي لا تقدموا ما لا يصلح[٦] .

الثالث: أنه مضارع قدّم المتعدي، ولكنه أجري مجرى اللازم وقطع النظر عن وقوعه على مفعوله لأن المراد هو أصل

قلت: النصف قال: ما شئت وإن زدت كان خير لك قلت: فالثلثين قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك قلت: أجعل لك صلاتي كلها قال: إذا تكفي همك ويغفر لك ذنبك»، سنن الترمذي (٤/ ٦٣٦) رقم: ٢٤٥٧. «من صلى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشراً» سنن أبي داود: كتاب الصلاة، (١/ ٣٩٤) رقم: ٥٢٣. «من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة» أخرجه الطبراني في الترغيب والترهيب ج١ ص ٢٦١.

(١)- سنن أبي داود: كتاب الأقضية باب اجتهاد الرأي في القضاء: (٣/٣٠٣) رقم الحديث ٢٥٩٢.

(٢)- تفسير القرآن العظيم: ج٤ ص ٢٠٥.

(٣)- صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب حجة الوداع (٢٤/١)رقم:٦٧.

(٤)- فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه من أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخديه، وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، فقال: أخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال: صدقت. قال: أخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبث مليا. ثم قال يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال: إنه جبريل أتاكم يعلم دينكم». صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة (١/ ١٩) رقم: ٥٠.

(٥)- النشر في القراءات العشر: ابن الجوزي، ج١ ص ٣٧٦ وقرأ الباقون بضم التاء وكسر الدال: المحرر الوجيز: ابن عطية: ج١٥ ص ١٣.

(٦)- التبيان في إعراب القرآن الكريم: ج١ ص ٤١٢.

الفعل دون وقوعه على مفعوله [١].

وقد جاء النداء بتفسيرات منها:

قال ابن عباس: «لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة»، وقال العوفي: «نُهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه»، وقال مجاهد: «لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضي الله تعالى على لسانه»، وقال الضحاك: «لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله ﷺ منه شرائع دينكم»، وقال علي بن أبي طلحة: «لا تقولوا قبل أن يقول النبيﷺ» وقال الطبري: «لا تعجلوا بقضاء أمر الله في حروبكم أو دينكم قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله فتقضوا بخلاف أمر الله ورسوله» [٢] وقيل غير ذلك.

وقد نزلت الآية لسبب [٣]، فعن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبر أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن عبد وقال عمر بل أمِّر الأقرع ابن حابس فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ إلى قوله تعالى ﴿ولو أنهم صبروا﴾ [٤]، وحصر البخاري سبب النزول على قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [٥].

المطلب الثاني: النداء الثاني في سورة الحجرات

﴿يا أيها الذين أمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾، فهذا النداء كسابقه يجلي رفعة الرسولﷺ وتشريفه، قيل إن الآية نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر [٦]، غير أن ابن عطية قال: «الصحيح أن سبب نزول هذه الآية كلام حفاة الأعراب، فإن الذي يتعلق بقصة الشيخين في تخالفهما في التأمير هو أول السورة ﴿لا تقدموا﴾ [٧]، وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس كان رفيع الصوت [٨]، فمن شدة خوفه عند نزول الآية قال: «أنا من أهل النار واحتبس عن رسول الله ﷺ حتى أبلغ سعد بن معاذ رسول اللهﷺ فقال: بل هو من أهل الجنة» [٩]. وفيه دلالة على عدم جواز مناداة رسول الله ﷺ كما ينادي بعضنا بعضا، وهي شبيهة بقوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾[النور:٦٣] أي: لا تسموه إذا دعوتموه يا محمد، ولا تقولوا ابن عبد الله ولكن شرفوه

---

(١)- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، ج٧ ص٤١٦.

(٢)- انظر: تفسير الآية جامع البيان الطبري (٢٧٢/٢٢) وغيره.

(٣)- فسبب النزول ما نزلت الآية والآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب السؤال» مناهل العرفان: عبد العظيم الزرقاني: ج١ص ١٠٦.

وله فوائد منها : أ- الوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال قال ابن تيمية : «معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث علم بالمسبب.

ب- طريق قوي في فهم معاني القرآن. ج- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .د- تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .انظر: الإتقان:ج١ ص ٨٢ ولباب النقول: ص١.

(٤)- لباب النقول: السيوطي: ص ١٧٩، أسباب النزول: الواحدي: ٢٨٧.

(٥)- صحيح البخاري: كتاب التفسير باب «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» رقم الحديث ٤٨٤٥.

(٦)- انظر: أسباب النزول: الواحدي: ص ٢٨٧ ولباب النقول: السيوطي: ص ١٨٩.

(٧)- المحرر الوجيز: ج١٥ ص ١٣١ وفتح الباري: ج٨ص٤٥٦.

(٨)- انظر تفسير القرآن العظيم: ج٤ ص ٢٠٦.

(٩)- المحرر الوجيز: ج٤ ص ١٣١.

فقولوا يا نبي الله، يا رسول الله» [1].

ودلت آيات من كتاب الله على أن الله تعالى لم يخاطبه في كتابه باسمه وإنما يخاطبه بما يدل على التشريف [2]. وكقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا﴾ [البقرة:١٠٤]، وهذا النهي جاء بسبب أن اليهود تقولها على وجه الاستهزاء فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم [3].

وكما يكره رفع الصوت وهو حي ﷺ فيكره بعد موته وقد أجمع العلماء على ذلك [4] فقد روي عن عمر بن الخطاب «أنه سمع رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاءهما فقال أتدريان أين أنتما؟ فقال من أين أنتما؟ قالا من الطائف فقال لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا» [5].

وقد روي عن الإمام مالك أنه سمع أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور وقد رفع صوته أمام قبره ﷺ فقال له يا أمير المؤمنين إن الله عاتب أقواما رفعوا أصواتهم عنده فقرأ عليه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ وذم أقواما نادوه من وراء الحجرات فقرأ ﴿إن الذين ينادونكم من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ ومدح أقواما خفضوا أصواتهم عنده فقرأ ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾، قال أبو بكر بن العربي «حرمة النبي ﷺ ميتا كحرمته حيا، وكلامه المأثور بعد موته في الرقعة مثال كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولا يُعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به» [6]. وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لأن ذلك كفر والمخاطبون المؤمنون وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبار فيتكلف الغض منه ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير [7].

فإذا كان هذا حكم من رفع صوته عند سماع حديث رسول الله ﷺ فما بالك بمن أنكر قول الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر:٧]، وقوله تعالى: ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء:٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ [النحل:٤٤]، وقولهﷺ «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه» [8]، وينطبق هذا على من سموا أنفسهم بالقرآنيين [9].

---

(1)- تفسير القرآن العظيم: ج٤ ص٢٠٧ وفيه تفسير آخر «لا تعتقدوا أن دعاءه على غيره كدعائه، فإن دعاءه مستجاب»، المصدر نفسه.

(2)- كقوله تعالى ﴿يا أيها النبي﴾ الأنفال: ٦٤ – ٦٥- ٧٠ أو ﴿يا أيها الرسول﴾ المائدة: ٤١- ٦٧ أو﴿يا أيها المزمل﴾ المزمل: ١ أو ﴿يا أيها المدثر﴾ المدثر:١ أو يأتي اسمه ﷺ مضافا ﴿محمد رسول الله﴾ الفتح: ٢٩ ﴿وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل﴾ [آل عمران: ١٤٤].

(3)- انظر تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ج١ ص ١٦.

(4)- انظر: تفسير القرآن العظيم: ج٤ ص٢٠٧، والمحرر الوجيزج١٥ص١٣٢.

(5)- المصدر نفسه.

(6)- أحكام القرآن: ج٣ ص ١٧١٢.

(7)- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:ج١٦/ص٣٠٧.

(8)- سنن أبي داوود: كتاب السنة باب في لزوم السنة (٤/ ٢٠٠) رقم الحديث ٤٦٠٤، وصححه الالباني.

(9)- طائفة يرون أن القرآن وحده مصدرا للتشريع ولا يعترفون بالسنة النبوية والأصح أن يطلق عليهم منكر السنة.

انظر: تعريف القرآنيين: شريف هادي وشبهات القرآنيين عثمان بن معلم محمود بن شيخ على شبهات القرآنيين حول السنة النبوية: حمود بن محمد مزروعة. قال فيهم الشيخ ابن باز « ليسوا قرآنيين ولكنهم ضد القرآن وملاحدة وضالون بل كفار بإجماع أهل العلم فمن أنكر السنة ولم يعمل بها وزعم أنه لا يعمل إلا

وجاء في سياق النداء وعيد لمن رفع صوته ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ [1]، قال ابن عطية: «وهذا الحبط إن كانت الآية معرضة لمن يفعل ذلك استخفافًا واستحقارًا وجرأة فذلك كفر والحبط معه على حقيقته، وإن كان التعريض للموهن الفاضل الذي يفعل ذلك غفلة وجريا على طبعه، فإنما يحبط عمله البر في توقير النبي ﷺ» [2]، وقال الزجاج: «معناه لا تفعلوا ذلك فتحبط أعمالكم. والمعنى لئلا تحبط أعمالكم، فالمعنى معنى اللام في أن. وهذه اللام لام الصيرورة وهي كاللام في قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ [القصص:٨]. والمعنى فالتقطه آل فرعون ليصير أمرهم إلى ذلك، لا أنهم قصدوا أن يصير إلى ذلك، ولكنه في المقدار فيما سبق من علم الله أن السبب الصير التقاطهم إياه، وكذلك لا ترفعوا أصواتكم فيكون ذلك سببا لأن تحبط أعمالكم» [3].

ونقيض هذا العمل غض الصوت عند رسول الله ﷺ، وقد نوه الله بتقوى الذين يغضون أصواتهم، فقال: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾، فالتقوى هنا عظيمة يختار الله لها القلوب بعد امتحان واختبار وبعد تخليص وتمحيص فلا يضعها في قلب إلا وقد تهيأ لها وثبت أنه يستحقها. وقد اختبر الله قلوبهم وهيأها لتلقي تلك الهبة هبة التقوى، فهؤلاء طهرهم الله من كل قبيح وجعل في قلوبهم الخوف من الله والتقوى، قال عمر بن الخطاب «أذهب عن قلوبهم الشهوات» [4].

وبعد هذه الرقة من أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى رجع إلى الحديث في هؤلاء الذين وصفتهم الآية بأن أكثرهم لا يعقلون: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾، إذ كرهت الآيات لهم هذا النداء على هذه الصفة المنافية للآدب والتوقير اللائق بشخص رسول اللهﷺ وحرمة رسول الله ﷺ القائد المربي وبينت لهم الأولى والأفضل وهو الصبر والانتظار حتى يخرج لهم، وحببت إليهم التوبة والإنابة ورغبتهم في المغفرة والرحمة.

وقد نزلت الآية لأسباب، نذكر منها ما قاله مجاهد وغيره: أنها نزلت في أعراب بني تميم، قدم الوفد منهم على النبي ﷺ فدخلوا المسجد ونادوا النبي ﷺ من وراء حجرته أن اخرج إلينا [5].

وقد وعى المسلمون هذا الأدب الرفيع من غض للصوت وعدم المناداة من وراء الحجرات والتحلي بالصبر، فهذا ثابت بن قيس نرى له سموقا في هذا الجانب، فقد جاء في الصحيح عن أنس بن مالك «أن النبي ﷺ افتقد ثابت ابن قيس، فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه ووجده جالسا في بيته منكسًا رأسه، فقال له ما شأنك؟ فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبر أنه قال كذا وكذا، قال موسى بن أنس بن مالك: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة» [6].

بالقرآن فهو كاذب لم يعمل بالقرآن» وقد كتب يرحمه الله رسالة في الموضوع سماها «وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وجاء بنصوص تثبت بالدليل بالأخذ بالسنة. انظر الكتاب ص ٧ إلى ١٠.

(١)- نقول حبط حبطا حُبُوطا عمل عملا ثم أفسده. انظر: لسان العرب: مادة – حبط.

(٢)- المحرر الوجيز: ج١٢ ص١٣٢.

(٣)- معاني القرآن: ج٥ ص ٣٢.

(٤)- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ج١٦ ص ٣٠٨.

(٥)- انظر: روايات أقوى كانت سببا لنزول الآية لباب النقول في أسباب النزول السيوطي ص ١٧٨١، أسباب النزول: الواحدي ص٢٧٩، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي ج١٦ ص ٣٠٩، المحرر الوجيز: ابن عطية ج١٥ ص١٣٤، وجامع البيان: الطبري: ج٢٦ ص١٢٢.

(٦)- البخاري: كتاب التفسير باب «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» (١٣٧/٦) رقم الحديث ٤٨٤٦.

يتجاوز هذا الأدب به شخص الرسول ﷺ إلى كل أستاذ وعالم، لا يزعجونه حتى يخرج إليهم، ولا يقتحمون عليه حتى يدعوهم. فالعلماء في كل حال لهم فضل عظيم، في خروجهم لطلب العلم، وفي مجالستهم لهم فيه فضل، وفي مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضل، وفي من تعلموا منه العلم لهم فيه فضل، وفي من علموه العلم لهم فيه فضل، فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة[1].

المطلب الثالث: النداء الثالث في سورة الحجرات

﴿يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾.

هذا النداء جاء ليبين الرابطة بين المسلمين ويبين لهم أن يكفوا ألسنتهم حتى لا تنفصم عرى إيمانهم، وأبرز لهم كيف يتلقون الأخبار وكيف يتصرفون بها، وذكر أن الإسلام جاء لبناء المجتمع بناء على الضمير والوجدان حتى لا يوجد بينهم من يتصف بالفسق[2] لأنه مظنة الكذب، وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها، لأن الأصل في المسلم الثقة، وقد قرئ الأمر بالتثبت ﴿فتثبتوا﴾[3]، نزلت الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، كما فيما رواه قتادة أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة مصدقا إلى بني المصطلق فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم – وفي رواية: لإحنة كانت بينه وبينهم- فرفع إلى النبي ﷺ فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاءوا أخبروا خالداً أنهم متمسكون بالإسلام وسمعوا آذان صلاتهم. فلما أصبحوا أتاهم خالد ورأى صحة ما ذكروه فعاد إلى النبي ﷺ فأخبره فنزلت الآية[4]. وقال الإمام القرطبي: «وفي الآية دليل على فساد قول من قال: إن المسلمين كلهم عدول حتى تثبت الجرحة لأن الله أمر بالثبت قبل القبول، ولا معنى للتثبت بعد إنفاذ الحكم، فإن حكم الحاكم قبل التثبت فقد أصاب المحكوم عليه بجهالة»[5]. كما أن الآية دليل لقبول خبر الواحد[6] إذا كان عدلا، لأنه إنما أمر فيها بالتثبت عند خبر الفاسق، ومن ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعا، لأن الخبر أمانة والفسق قرينة يبطلها[7].

فمدلول الآية عام، وهو يتضمن مبدأ التمحيص والتثبت من خبر الفاسق، فأما الصالح فيؤخذ بخبره لأن هذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة وخبر الفاسق استثناء، والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج التثبت لأنه أحد مصادره. وإذا أردنا أن نعنون هذا النداء اخترنا له عنوان حفظ اللسان، والذي يؤكده نداء آخر في الآية ٧٠ من سورة الأحزاب: ﴿يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا﴾ والنصوص كثيرة في هذا الموضوع منها قوله تعالى في سورة ق الآية ١٨: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾، وقوله تعالى في سورة مريم الآية٧٩: ﴿كلا سنكتب

---

(1)- أخلاق العلماء: أبوبكر محمد بن الحسين عبد الله الآجوري: ص٤١.

(2)- الفسق: هو الخروج عن نهج الحق، وهو مراتب متباينة كلها مظنة الكذب وموضع تثبت وتبين، المحرر الوجيز: ابن عطية ج١٢ص١٣٧.

(3)- قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ فِي الثَّلَاثَةِ فَتَثَبَّتُوا مِنَ التَّثَبُّتِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ فِي الثَّلَاثَةِ مِنَ التَّبَيُّنِ، انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥١).

(4)- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ج١٦ ص٣١١.

(5)- المصدر نفسه والمحرر الوجيز: ج١٥ ص١٣٨.

(6)- جعل العلماء لقبول خبر الواحد شروطا أجملوها: أولاً: أن يكون الراوي عدلا، ثانيًا: أن يكون ضابطا، ثالثً: أن يكون السند متصلا. رابعًا: أن يكون الخبر سالما من الشذوذ خامسًا: أن يكون الخبر سالما من العلة. انظر: مقدمة ابن الصلاح: ١٥. واختلف العلماء بحجيته وعدم حجيته في الأحكام والعقائد. انظر الرسالة: الشافعي: ص٤٢٧ والأحكام الآمدي ج١ ص١٠٢ إلى ١٠٨ والتمهيد ابن عبد البر: ج٣٤ ص١ والباعث الحثيث ابن الصلاح: ج١ص١٢٧.

(7)- الجامع لأحكام القرآن: ج١٦ ص٣١٢.

ما يقول ونمد له من العذاب مدا،﴾ ومنه قوله تعالى في سورة النور الآية:١٥ ﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾ وقوله تعالى في سورة النحل الآية١١٦:﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾.

ومن النصوص الحديثية: وصية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل عند سؤاله يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ﷺ «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار— أو قال على مناخرهم- يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم»[١] وقولهﷺ «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النار»[٢] وقوله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[٣]. والعجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر، ومن النظر الحرام وغير ذلك ويصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا ينزل في النار بالكلمة الواحدة أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يقطع ويذبح في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي بما يقول[٤].

وبيّن النداء ابتداء تحريم[٥] النميمة[٦] ووعيدها، قال عليه الصلاة والسلام «لا يدخل الجنة نمام»[٧]. وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام بعد أن سمع صوت إنسانين يعذبان في قبريهما: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير وإنه لكبير كان أحدهما لا يستتر من البول وكان الآخر يمشي بالنميمة»[٨]. وفي رواية «لا يدخل الجنة قتّات»[٩]، ويذكّر الله تعالى هؤلاء بعد فعلتهم بحقيقة وجود الرسول ﷺ الذي بعثه لتكون جماعة المسلمين جسدا واحدا « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[١٠]، ويترتب على ذلك أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل، فقوله تعالى ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ توبيخ للكذبة ووعيد بالفضيحة أي فليفكر الكاذب في أن الله عز وجل يفضحه على لسان رسول الله ﷺ[١١]. وفيه تذكير آخر بنعمة الإيمان ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان﴾ كأنه قال ولكن الله أنعم بكذا

---

(١)- سنن الترمذي: كتاب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة: (١١/٥) رقم ٢٦١٦. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢)- صحيح البخاري: كتاب الرقاق باب حفظ اللسان (١٠٠/٨) رقم ٦٤٧٥.

(٣)- صحيح البخاري: كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره: (١٠٠/٨) رقم ٦٤٧٣.

(٤)- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ابن القيم الجوزية: ص ١٤٠.

(٥)- بوب الإمام مسلم في صحيحه باب «بيان غلظ تحريم النميمة» .

(٦)- النميمة لغة رفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، وقيل تزيين الكلام بالكذب. انظر لسان العرب. مادة – نميم . وفي الاصطلاح: نقل الحديث من إلى قوم على جهة الإفساد والشر.

انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج٥ ص٢٥٦ وفي الأصل نقل القول إلى المقول فيه ولا اختصاص لها بذلك بل ضابطها كشف ما يُكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أ و غيرها، وسواء كان المنقول قولا أو فعلا وسواء كان عيبا أو لا حتى لو رأى شخصا يُخفي ماله فأفشى كان نميمة. انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ج١٠ ص ٤٣٣ وقد بوب الإمام البخاري باب في صحيحه سماءه « باب ما يكره النميمة» .

(٧)- صحيح البخاري: كتاب الأدب باب ما يكره من النميمة(١٧/٨) رقم ٦٠٥٦ وصحيح مسلم باب بيان غلظ تحريم النميمة(١٠١/١) رقم ١٦٩.

(٨)- صحيح مسلم كتاب الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول رقم ٢٢٢.

(٩)- القتات هو النمام، وقيل الفرق بينهما أن النمام الذي يحضر القصة فينقلها والقتات الذي يستمع من حيث لا يعلم به ثم ينقل ما سمعه. انظر فتح الباري: ج١٠ ص ٤٧٣ والترغيب والترهيب للمنذري ج٣ ص ٣٢٣.

(١٠)- صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم (١٩٩٩/٤) رقم: ٢٥٨٦.

(١١)- المحرر الوجيز: ج١٥ ص ١٣٨.

وكذا وفي ذلك كفاية وأمر لا تقومون بشكره فلا تتقدموا في الأمور واقنعوا بإنعام الله عليكم [1]، ونظيره قوله تعالى: ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ [الكهف:١٧]. وقوله تعالى: ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾ [الإسراء : ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هو الخاسرون﴾ [الأعراف:١٧٨]، ومن كان كذلك فهو الراشد ﴿أولئك هم الراشدون﴾، فاختيار الله لفريق من عباده ليشرح صدورهم للإيمان والهداية ويحرك قلوبهم إليهما هو فضل من الله دونه كل فضل وكل نعمة، والذي يستوقف النظر هنا هو تذكيرهم بأن الله هو الذي أراد بهم هذا الخير وهو الذي خلص قلوبهم من ذلك الشر: الكفر والفسوق والعصيان.

ويأخذنا النداء ذاته إلى حقيقة بناء مجتمع مسلم خال من الصراعات والأحقاد والنزاعات، ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾، فالمؤمنون أقرب رحما بعضهم ببعض بحكم أخوتهم في الله، والتقائهم في العقيدة التي يعدها الإسلام أوثق من روابط الدم ووشائج النسب فإن وجدت مثل هاتين الطائفتين فلا بد من مصلحين حتى لا تنفصم عرى الجماعة المسلمة فالإصلاح خير قال عليه الصلاة والسلام « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا: بلى قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة» [2].

وللآية عدة أسباب لنزولها [3]، وقال ابن العربي: «والآية تقتضي جميع ما روي وما لم يُرْوَ فلا يصح تخصيصها ببعض الأحوال دون بعض» [4].

والإصلاح يمثل قاعدة عامة محكَمة لصيانة الطائفتين من التفكك والتفريق، والارتكان في الإصلاح إلى تقوى الله، والجميل أن الآية أبقت الإيمان للطائفتين معا ومع احتمال أن إحداهما قد تكون باغية على الأخرى، ويعود النداء بعد لحمة المؤمنين ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ يذكرهم بالإصلاح عند الخصومة والإصلاح عند الوحدة التي تقوم على الحب والسلام والتعاون لأنها الأصل، أما الاقتتال فاستثناء، وسطرت الآية ١٠٣ من سورة آل عمران هذا العناق الإيماني الذي هو من الله ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إن كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾، ففي الآية ثلاثة أوامر: الاعتصام بحبل [5] الله، وعدم التفرقة بين الجماعة المسلمة، والتذكر لنعمة الأخوة. قال الإمام القرطبي: «أمر الله تعالى بتذكر نعمهِ وأعظمها الإسلام واتباع نبيه محمدﷺ فإن به زالت العداوة والفرقة وكانت المحبة والألفة» [6]، وقال الزجاج: «ذكرهم بتعظيم النعمة عليهم في الإسلام لأنهم كانوا في جاهليتهم يقتل بعضهم بعضا، ويستبيح كل غالب منهم من غلبه فحظر عليهم الإسلام الأنفس والأموال إلا بحقها، فعرفهم الله عز وجل مالهم من الحظ في العاجل في الدخول إلى الإسلام» [7]،

---

(1)- المصدر نفسه.

(2)- سنن أبي داود(٤/٢٨٠) رقم الحديث ٤٩١٩ والترمذي (٤/٦٦٣)رقم الحديث ٢٥٠٩.

(3)- انظر أحكام القرآن لابن العربي، ج٤ ص ١٧١٦ و ١٧١٧.

(4)- المصدر نفسه.

(5)- والحبل في لغة العرب العهد: معاني القرآن: الزجاج: ج١ ص ٤٥٠ وقال عبد الله بن مسعود :«حبل الله، القرآن» الجامع لأحكام القرآن:٤٢ ص ١٥٩ وهو قول الرسول ﷺ: «إن هذا القرآن هو حبل الله »، سنن الدارمي: رقم ٣٣١٥، وقال الذهبي: «في الحديث إبراهيم الأجري ضعفه غير واحد» ميزان الاعتدال: ج١ ص ١٦٦. وقال ابن كثير :« غريب من هذا الوجه وإنما هو كلام ابن مسعود» ، فضائل القرآن:ص٤٦. وقال في الذي ليس من النسب « إخوانا على سرر متقابلين» الحجر ٤٧ وقال« فإخوانكم في الدين وحواليكم » الأحزاب، الحجة للقراء السبعة: ج٦ ص ٢٠٩.

(6)- الجامع لأحكام القرآن: ج٤ ص ١٦٤.

(7)- معاني القرآن: ج١ ص٤٥٠.

وهي أخوة عنوانها الأبرز الاعتصام بحبل الله، وقد بدا جليا إشراق الأخوة في الآية التي تلت الإصلاح بين طائفتين مؤمنتين ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾[1]، فمما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وجيء بصيغة القصر المفيدة لحصر مالهم في حالة الأخوة مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين، فهو قصر ادعائي أو قصر إضافي؛ للرد على أصحاب الحالة المفروضة الذين يبغون على غيرهم من المؤمنين، ومن شأن ﴿إنما﴾ في الآية أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته[2]، كما بينت الآية العاشرة من سورة الحشر: ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾، أن الأخوة في الآية تشير إلى الأخوة في الدين لا في النسب[3]؛ لأن أخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب، يقول ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[4]، ويقول ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[5]، ويقول ﷺ «المسلم أخو المسلم»[6]، ويقول ﷺ«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[7]، وجزء من هذه الأخوة سلامة الصدر لقوله ﷺ «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[8]، لذا كان من الأعمال الأساس التي قام بها ﷺ الأخوة، وقد ضرب الأنصار مثال السموق في ذلك حتى أنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿ويؤثون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [الحشر:٩]، قال الإمام السعدي: «ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها على من سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها»[9]، فهي صورة وضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار، هذه المجموعة التي تفردت بصفات بلغت إلى الآفاق، لولا أنها وقعت بالفعل لحسبها الناس أحلاما طائرة ورؤى مجنحة ومثلا عليا قد صاغها خيال محلق.

فهذه صفة الجماعة المسلمة لذا نجد معظم شعائرها تقوم على الجماعة في صلاتهم وصيامهم وحجهم وكذلك في

---

(1) وهي قراءة الجمهور. انظر الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي ج٦ص٢٠٧ وذلك رعاية لحال أقل عدد يقع فيه القتال والتشاجر، وقرأ ابن عامر والحسن بخلاف عنه «بين إخوتكم» وقرأ ابن سيرين وزيد بن ثابت وابن مسعود والحسن وعاصم الجحدري وحماد بن سلمة «بين إخوانكم». انظر: المحرر الوجيز: ج١٥ ص ١٤٢.

وقرئت ﴿بين إخوتكم﴾ بالتاء جماعة. الحجة للقراء السبعة: ج٦ص٢٠٧.

(2)- انظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص٣٣٠.

(3)- قال أبو علي الفارسي: «أكثر الاستعمال في جمع الأخ من النسب إخوة وآخاء وفي التنزيل «فإن كان له إخوة» النساء ١١ وقال الشاعر:

وجدتم بنبيكم دوننا نسبتم *** وأي نبي الآخاء تنبو مناسبة

لسان العرب: مادة – أخا –.

(4)- صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاضدهم،(١٩٩٩/٤) رقم ٦٥.

(5)- صحيح البخاري: كتاب الأدب باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا(١٢٩/٢) رقم ٢٤٤٦.

(6)- البخاري: كتاب المظالم باب لا يظلم المسلم (١٢٨/٣) رقم: ٢٤٤٢.

(7)- صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير(٦٧/١) رقم ٤٥.

(8)- صحيح مسلم : كتاب المظالم باب تحريم ظلم المسلم (١٩٨٦/٤) رقم: ٢٥٦٤.

(9)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ص ١٠٠٣.

حياتهم اليومية ﴿ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾[الزخرف:٣٣]. قال الإمام الطبري: «ليستسخر هذا في خدمته، وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل» [١]، فما أعظم أن تلهج ألسنتنا في الصلاة بصيغة الجمع ﴿إياك نعبد﴾ وفيها إشارة على أن المؤمنين في عبادتهم مجتمعون موحدون مستعينون بالله مقصدهم الجنة قال ﷺ «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام» [٢].

وفي سياق الآية ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ وكأني بالآية تلزم المسلم اتباع نظام الإصلاح بين الجماعة المسلمة، ومن المسلّم أن الإصلاح له أصول وضوابط نجملها في النقاط التالية:

١- إصلاح النية « إنما الأعمال بالنيات» [٣].

٢- تحري العدل والإنصاف، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط﴾ [المائدة: ٨].

٣- التثبت والتوثق.

٤- الحرص على تراضي الطرفين.

٥- الحكمة في التعامل.

٦- إجازة الكذب لأجل الإصلاح، لقوله ﷺ «لا يحل الكذب إلا في ثلاث يحدث الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس» [٤].

٧- الستر على المتخاصمين.

٨- الدعاء.

٩ – الوعظ والتذكير.

١٠- مخاطبة المشاعر والأخلاق.

١١- تحقيق مفهوم الأخوة.

١٢- الحرص على تماسك المجتمع المسلم.

المطلب الرابع: النداء الرابع في سورة الحجرات

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم [٥] من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾.

يشير هذا النداء إلى حقيقة جوهرية مرتبطة بأدب رفيع داخل المجتمع المسلم يصون كرامة الفرد ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ [الإسراء:٧٠]، وبدأ المقطع بمنهيات لا تناسب خلق المسلم، وكم نحتاج في عصرنا إلى تدبر هذا النداء خاصة لما نلحظه من سوء الأخلاق بين المسلمين، وإن كان النداء قد نزل لسبب [٦] إلا أن العبرة بعموم اللفظ

---

(١)- جامع البيان في تفسير أي القرآن: ج ٢٥ ص ٤٩١.

(٢)- صحيح مسلم: كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (٧٤/١) رقم ٥٤.

(٣)- صحيح البخاري: باب بدء الوحي (٦/١) رقم ١ وصحيح مسلم: باب قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات» (١٥١٥/٣) رقم ١٩٠٧.

(٤)- سنن الترمذي: كتاب البر والصلة (٤/ ٣٣١) رقم ١٩٣٩.

(٥)- القوم الرجال خاصة، لأنهم لهم القوامة بأمر النساء قال تعالى ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ وهو في الأصل جمع قائم، تفسير النسفي: ج٣ ص ٣٥٤.

(٦)- ذكر العلماء مجموعة من الأسباب لنزول هذا النداء. انظر أسباب النزول للواحدي ص ٢٩٤ ولباب النقول للسيوطي ص١٨٢.

لأن فيه تقويما كسائر أمر الشرع. فالإسلام يدفع بأتباعه إلى الصورة الإيجابية لاستجاشة شعور الود وإحساس الألفة، فهو يدعو إلى إشاعة الكلمة الطيبة بين الناس ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ [الإسراء: ٥٣]، ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ [البقرة:٨٣]، ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ [الفرقان ٦٣]، ومثل هذه الآيات كثير[١].

وقد بينت الآيات مساوئ ثلاثة على المؤمن أن يجتنبها:

١- السخرية. ٢- اللمز. ٣- التنابز بالألقاب.

وبيان ذلك كما يلي:

١- السخرية:

السخرية في اللغة: الاستهزاء، قال ابن منظور: «سخر منه وبه سَخْرا وسخَرا ومسخرا وسُخُر هزئ به، وسخرت من ثلاث هي اللغة الفصيحة[٢]، قال تعالى: ﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾ [التوبة: ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم﴾ [هود: ٣٨]، والهزء إنما يترتب متى ضعف امرؤ لصغر أو لعلة حادثة أو لرزية أو لنقيصة يأتيها، فنهي المؤمنون عن الاستهزاء في هذه الأمور وغيرها نهيا عاما[٣].

وهذا أول نهي في هذا النداء وقد أكد على أن الساخر قد يكون معيبا أكثر من المسخور منه، قال الزجاج: «عسى أن يكون المسخور منه خيرا من الساخرين، وكذلك عسى أن يكون النساء المسخور منهن خيرا من النساء الساخرات»[٤]، وقال النسفي: «والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر إذ لا اطلاع للناس إلا على الظاهر ولا علم لهم بالسرائر، والذي يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذ رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه غير لبيق في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقيره من وقره الله»[٥]، وكما نهى النداء السخرية من رجل لرجل فكذا من امرأة لامرأة ﴿ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن﴾، قال الإمام القرطبي: «أفرد النساء بالذكر لأن السخرية منهن أكثر»[٦].

وفيه بصيرة على أن كرامة المرأة مثلها مثل كرامة الرجل بحكم البشرية قال تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذين خلقك فسواك فعدلك * في أي صورة ماشاء ركبك﴾ [الانفطار: ٦-٨] ، وقوله تعالى:﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين:٤]، فكما هم شقائق في الأحكام[٧] فهم كذلك شقائق في عدم النيل منهن.

---

(١)- انظر: فصلت ٣٤ والشورى ٣٧ و ٤٣ ، والتغابن ١٤ وآل عمران: ١٢٤.

(٢)- انظر لسان العرب: مادة سخر.

(٣)- المحرر الوجيز: ج٨٢ ص ١٤٤.

(٤)- معاني القرآن: ج٥ ص ٣٦.

(٥)- تفسير النسفي: ج٣ ص ٣٥٤، مدارك التنزيل وحقائق التأويل.

(٦)- الجامع لأحكام القرآن: ج١٦ ص ٣٢٦.

(٧)- قال ﷺ: «النساء شقائق الرجال» سنن الترمذي :كتاب الطهارة ، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيجد بللا ولا يذكر احتلاما (١٨٩/١) رقم: ١١٣.

٢- اللمز:

واللمز والهمز: العيب والغض من الإنسان[١]، وقال الطبري: اللمز باليد والعين واللسان والإشارة والهمز لا يكون إلا باللسان»[٢]، وجاء السياق ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ الآية، مثل قوله تعالى ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ [النساء:٢٩] أي لا يقتل بعضكم بعضا، لأن المؤمنين كنفس واحدة فكأن يقتل أخاه قاتل نفسه وكقوله: ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ [النور:٦١] أي يسلم بعضكم على بعض، والمعنى لا يعب بعضكم على بعض»، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير: «لا يطعن بعضكم على بعض»[٣]، وقال القرطبي في قوله «أنفسكم» نفسه، على أن العاقل لا يعيب نفسه فلا ينبغي أن يعيب غيره لأنه كنفسه»[٤]، ولقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[٥].

٣- التنابز بالألقاب:

قيل أن النبز واللقب بمعنى واحد[٦]، والجمع أنباز، والنبز– بالتسكين المصدر، تقول: نبزَه ينْبزُه نبزه أي لقبه، ويقال النَبَزُ والنبز لقب سوءٍ[٧]، وقد كان سبب نزل قوله تعالى: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ أن الرجل يكون له الاسمان أو الثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره[٨].

والتنابز بالألقاب من سخرية البعض من البعض، قال الإمام الطبري: «نهى الله المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب، والتنابز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكره من اسم أو صفة، وعم الله نهيه ذلك ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها»[٩]، فمن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزري به ومن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه فهو إيحاء لحقيقة القيم الإسلامية التي تصور المؤمنين بنفس واحدة، وختم الله هذا النداء بالوعيد لأولئك الذين يسخرون ويلمزون ويتنابزون بالألقاب ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أي بئس أن يُسمّى الرجل كافرا أو زانيا بعد إسلامه وتوبته[١٠]، قال ابن عطية: «يحتمل معنيين: أحدهما بئس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالألقاب فتكونون فساقا بالمعصية بعد إيمانكم، والثاني بسبب قول الرجل لأخيه يا فاسق»[١١]، وفي الصحيح: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ

---

(١)- معاني القرآن: الزجاج: ج٥ص٣٦.

(٢)- جامع البيان في تفسير أي القرآن: الطبري: ج-٢٢ص ٢٩٨.

(٣)- الجامع لأحكام القرآن: ج١٦ ص ٣٢٧.

(٤)- المصدر نفسه.

(٥)- سبق تخريجه.

(٦)- معاني القرآن: الزجاج: ج٥ص٣٦ ومجاز القرآن : أبو عبيدة ج٢ص٢٢٠.

(٧)- الجامع لأحكام القرآن: ج١٦ ص ٣٢٨.

(٨)- لباب النقول: السيوطي: ص ١٨٢.

(٩)- جامع البيان: ج١١ ص٢٩٣.

(١٠)- الجامع لأحكام القرآن: ج١٦ ص ٣٢٨.

(١١)- المحرر الوجيز: ج١٥ ص ١٤٧.

لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»[(١)] فمن فعل ما نهي من السخرية والهمز والنبز فذلك فسوق لا يجوز[(٢)].

المطلب الخامس: النداء الخامس في سورة الحجرات

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا تغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾[(٣)].

الظن في القرآن الكريم على خمسة أوجه: أحدها اليقين، ومنه قوله تعالى﴿الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم﴾ [البقرة: ٤٦] وقوله تعالى ﴿إني ظننت إني ملاق حسابيه﴾ [الحاقة:٢٠].

وهذا النوع هو الأكثر في القرآن الكريم[(٤)].

الثاني الشك: ومنه قوله تعالى: ﴿إن هم إلا يظنون﴾ [البقرة:٧٨].

الثالث الحسبان: ومنه قوله تعالى: ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ [الإنشقاق:١٤].

الرابع: الكذب: كقوله تعالى: ﴿إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ [النجم:٢٨][(٥)].

قال ابن العربي: «الظن في الشريعة الإسلامية قسمان: محمود ومذموم، فالمحمود بدلالة قوله تعالى: ﴿إن بعض الظن إثم﴾ وقوله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا﴾ [النور: ١٢] وقال النبي ﷺ: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ، لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا»[(٦)]، وعبادات الشرع وأحكامه ظنيه في الأكثر[(٧)].

وهذا النداء يقيم سياجا آخر في هذا المجتمع الفاضل الكريم حول خدمات الأشخاص به وكراماتهم وحرياتهم، بينما يعلم الناس كيف يُنظفون مشاعرهم وضمائرهم، فالنداء الماضي حذر المؤمن من أن يقع في ثلاث مساوئ فكذلك هذا النداء فهو يطرق ضمير المؤمن من أن يتلبس بثلاث مساوئ.

إحداها: الظن:

وقد بينت مفاهيمه في الصفحة الماضية، وكأنني بهذا النداء يطهر القلب من داخله أن يتلوث بسوء الظن فيقع في الإثم، ويدعه نقيا من الهواجس والشكوك، أبيض يكنّ لإخوانه المودة التي يحدثها ظن الخير، والبراءة التي لا تلوثها الريب والشكوك، والطمأنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع، وما أروع الحياة في مجتمع بريء من الظنون.

---

(١)- صحيح مسلم: كتاب الإيمان باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر(١/٧٩) رقم٦٠

(٢)- الجامع لأحكام القرآن: ج١٦ ص ٣٢٨.

(٣)- جاء في اللسان أن الظن شك ويقين إلا أنه ليس يقين عيان وإنما هو يقين تدبر، فأما يقين العين فلا يقال فيه إلا علم. لسان العرب: مادة ظنن. وقال الجرجاني: «الظن استعمل في نفي الشك وهو التردد بين النقيضين بعد ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشك». التعريفات: ص ٦٨. وقال الزبيدي: « الظن هو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم» تاج العروس: ج ٩ ص ٢٧١.

وقال الراغب: «الظن اسم لما يحصل عن أمارة ومتى قويت أدت إلى العلم وحتى ضعفت أدت إلى التوهم » مفردات الألفاظ: ج٢ ص ٥٤.

فحقيقة الظن تجويز أمرين في النفس لأحدهما: ترجيح على الآخر والشك عبارة عن استوائهما والعلم هو حذف أحدهما وتعيين الآخر، أحكام القرآن: ابن العربي: ج٤ص١٧٢٤.

(٤)- انظر مقاييس اللغة: ابن فارس: ج٣ ص ٤٦٢.

(٥)- انظر نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ابن الجوزي:ج١ ص ٤٢٥ و ٤٢٦.

(٦)- صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقاق باب النهي عن المدح.

(٧)- أحكام القرآن: ج٤ ص ١٧٢٤ ولم يذكر القسم المذموم، وأشار في تفسيره وقد حققناه في كتب الأصول يشير إلى كتابه المحصول في أصول الفقه.

قال ابن كثير: «يقول الله تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثما محضا فليتجنب كثير منه احتياطها» (١)، وقال الزجاج: «أمر الله عز وجل باجتناب كثير من الظن وهو أن تظن بأهل الخير سوءا إذا كنا نعلم أن الذي ظهر منه خير» (٢)، وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن سعيد بن المسيب قال كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك ولا تظن بكلمة خرجت من أمرئ مسلم شرا وأنت تجد لها من الخير محملا، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه» (٣).

وقد حذر رسول الله ﷺ من سوء الظن فقال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا» (٤).

ونخلص من هذا إلى أن سوء الظن من أبشع الخصال التي يمكن أن يوصم بها الإنسان، وكم فرق من عوائل وأصدقاء وأحبة، وهو ثمرة سلبية وسبب في زوال الثقة بين الناس، وعندما تزول الثقة فإن عملية التعاون والتكافل بين المجتمعات تزول ويأتي التباغض والتفاحش والغربة والوحشة، وهذا من أشد الآثار السلبية لسوء الظن، كما يؤدي إلى تدمير وتخريب الهدوء النفسي والروحي.

وسوء الظن يقدح في عدالة صاحبه ذكر الأردبيلي: «جملة – مما يقدح في العدالة- هجر المؤمن.. النميمة .. سباب المؤمن .. سوء الظن والغيبة والبهتان.. وطلب عثرات المؤمنين وعوراتهم والاستهزاء والسخرية منهم» (٥).

ويشير عبد الله المطلق عضو منطقة الرياض إلى أن سوء الظن من البلاء العظيم الذي حل بالمجتمع فقطع أواصر العلاقات ومزق الصلة بين الإخوة والأخوات والأرحام والقربات، وسوء الظن منشؤه تفسير تصرفات الآخرين، ويعد سوء الظن وتخوين الأهل والأصدقاء والناس ميزان في غير محله (٦)، ولذا جاء الوعيد من سياق الآية ﴿إن بعض الظن إثم﴾، وقد عد الهيثمي سوء الظن بالمسلم الذي ظاهره العدالة من الكبائر، لما جاء عن النبي ﷺ في الحديث السابق ذكره :« إياكم الظن فإن الظن أكذب الحديث» (٧).

وقد أشار ﷺ إلى علاج لهذا الداء فقال: « ثلاث لازمات لأمتي الطيرة والحسد وسوء الظن، فقال رجل وما يذهبهن يا رسول الله؟ قال ﷺ: «إذا حسدت فاستغفر الله وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض» (٨).

٢- التجسس:

جاء في اللسان أن التجسس التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، والجاسوس العين يتجسس

---

(١)- تفسير القرآن العظيم: ج٤ ص ٢١٢.

(٢)- معاني القرآن: ج١ ص ٣٦ .

(٣)- روضة الغفلاء ونزهة الفضلاء: ابن حبان: ص ٦٩.

(٤)- صحيح البخاري: كتاب الأدب باب ما ينهي عن التحاسد والتدابر (١٩/٨) رقم ٦٠٦٤.

(٥)- صاحب الجواهر: محمد حسن: ص ٦٠.

(٦)- وهذه العبارة الأخيرة اقتبسها الباحث من ابن كثير . انظر تفسير القرآن العظيم: ج٤ص٢١٢.

(٧)- سبق تخريجه.

(٨)- الطبراني في الكبير: (٢٢٨/٣) رقم ٣٢٢٧،إسناده ضعيف. انظر لسان الميزان: ج١ ص ٤٢٩وضعفه الألباني في الضعيفة رقم ٤٠١٩، وتفسيره كما قال المناوي: «لأن الحسد واقع في النفس كأنها مجبولة عليه فلذلك غدرت فيه، فإذا استرسلت فيه بمثالها وفعالها كانت باغية ومخرجه من الطيرة وهي التشاؤم أن لا يرجع عن مقصده بل يعزم ويتوكل على ربه، ومخرجه من الظن أن لا يحقق فلا يعمل بمقتضاه بل يتوقف عن القطع والعمل به» انظر: فيض القدير ج٣ ص ٤٠٢.

الأخبار ثم يأتي بها، وهو صاحب سر الشر[(١)]، وفي الاصطلاح البحث عن العورات والمقاييس وكشف ما ستره الناس[(٢)]، وقد قرئت ﴿ولا تحسسوا﴾ بالحاء غير منقوطة[(٣)]، وقيل معناهما واحد، فالتحسس بالحاء المهملة طلب الشيء بالحاسة، والتجسس بالجيم مثله، وقيل باختلاف اللفظتين فالتجسس بالجيم البحث عن عورات النساء، وبالحاء الاستماع لحديث القوم، وسئل ابن عباس عن الفرق بينهما فقال: التحسس في الخير والتجسس في الشر[(٤)]. ويؤيد ذلك قوله تعالى حكاية عن يعقوب: ﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف﴾ [يوسف:٨١] بالحاء، وقوله ﴿ولا تجسسوا﴾ بالجيم، فإن المنهي عنه البحث عن معايب الناس وأسرارهم التي لا يرضون بإفشائها واطلاع الغير عليها»[(٥)]. وقال أبو عمرو بن العلاء: «التجسس ما كان من وراء وراء والتحسس بالحاء الدخول والاستعلاء»[(٦)]، وقال الترمذي: «التحسس بالحاء وهو طلب أخباره والفتش عنه شفقة ونصحا واحتياطها فتطيب نفسه لطيب أخباره وحسن حاله، والتجسس بالجيم أن تفتش عن أخبار مغطية مكروهة، أي تعلم بها فتستخرجها بفتشك لهتك الستور والكشف عن العورات والمساوئ»[(٧)].

وقال البغوي: «نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها»[(٨)]، وقد فسر الإمام مجاهد قوله تعالى: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين﴾ [التوبة: ٤٧] «معناه وفيكم محبون لهم يؤدون إليهم ما يسمعون منكم وهم الجواسيس»[(٩)]، وقد شدد رسول الله ﷺ الوعيد لمن كانت هذه صفاته فقال:«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم اتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»[(١٠)]. وقد تحدث العلماء كثيرا عن التجسس وخطره[(١١)].

وللتجسس أثار وخيمة على المجتمع إذ هو سبيل إلى قطع الصلات وتقوض العلاقات وظهور العداء بين الأحبة وبث الفرقة بين الإخوان فقد يرى المتجسس من المتجسس عليه ما يسوءه فتنشأ عنه العداوة، والحقد يدخل صدره الحرج والتخوف بعد أن كانت ضمائره خالصة طيبة، وذلك من نكد العيش[(١٢)]. وتحذير هذا النداء ﴿ولا تجسسوا﴾ هو ليعيش الناس آمنين على أنفسهم وآمنين على بيوتهم وآمنين على أسرارهم، ولا يوجد مبرر لانتهاك

---

(١)- انظر: تهذيب التهذيب للأزهري ولسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي، مادة جسس ويقال «التبحث» مجاز القرآن، أبو عبيدة ج٢ ص ٢٢٠.

(٢)- التفسير المنير: الزحيلي: ج٢٦ ، ص ٢٤٧.

(٣)- وهي قراءة الحسن وأبي رجاء والهذليين: المحرر الوجيز: ابن عطية ج١٥ ص ١٤٨.

(٤)- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري: ١١٨.

(٥)- المصدر نفسه: ص ١١٧.

(٦)- المحرر الوجيز: ابن عطية: ج١٥ ص ١٤٩.

(٧)- تنبيه الغافلين عن أ عمال الجاهلين: النحاس: ص ٤٩.

(٨)- تفسير البغوي: ج٧ ص ٣٤٥.

(٩)- المصدر نفسه: ج٤ ص ٥٦.

(١٠)- مسند أحمد: ج٤ ص ٤٢٠ رقم الحديث ١٩٧٩١.

(١١)- انظر: روض العقلاء: ج١ ص ١٢٥ و ١٢٦– ١٢٨. وجامع البيان: ج٢٢ ص ٣٠٤ و ٣٠٥ . وتفسير ابن أبي حاتم: ج ١٠ ص ٣٢٥٠. وتفسير وتفسير القرآن العظيم: ج٤ ص ٢١١.

(١٢)- التحرير والتنوير: ابن عاشور: ج٢٦ ص ٢٥٤.

حرمات الأنفس والبيوت والأسرار، وقد جاء الشرع لمقاومة هذا العمل الدنيء لتطهير القلب من مثل هذا الاتجاه اللئيم لتتبع عورات الآخرين وكشف سوءاتهم، وهذه المقاومة مبدأ من مبادئ الإسلام الرئيسية في نظامه الاجتماعي وفي إجراءاته التشريعية والتنفيذية.

٣- الغيبة:

﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ فبعد التحذير من التجسس يأتي النهي عن الغيبة ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾، وفي سياق الآية مشهد تتأذى له أشد النفوس كثافة وأقل الأرواح حساسية ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾، قال الأستاذ المراغي: «أي أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته؟ فإذا كنتم لا تحبون ذلك بل تكرهونه لأن النفس تعافه فكذلك فاكرهوا أن تغتابوه في حياته، والخلاصة إنكم كما تكرهون ذلك طبعا فأكرهوا ذلك شرعا لما فيه من شديد العقوبة» (١).

وقد صور حديث رسول الله ﷺ ذلك تصويرًا رائعًا بأن ماعزا جاء إلى النبي ﷺ فشهد على نفسه بالزنى فرجمه رسول الله ﷺ فسمع عليه الصلاة والسلام رجلين يقول أحدهما للآخر انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجْم الكلب فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: أين فلان وفلان: فقالا ذا نحن يا رسول الله: قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يا نبي الله ومن يأكل من هذا ؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها» (٢).

وقال ابن عباس: «إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس» (٣).

والغيبة أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه، فإذا كان صادقا سمي غيبة وإن كان كاذبا سمى بهتانًا (٤)، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره، قيل أفرأيت إن كان فيه ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» (٥). والبهتان أشد من الغيبة.

وقد قسم الحسن الغيبة إلى ثلاثة أوجه:

١- الغيبة: أن تقول في أخيك ما هو فيه.

٢- الأفك: أن تقول فيه ما بلغك عنه.

٣- البهتان: أن تقول فيه ما ليس فيه (٦).

وقد ذكر سلف هذه الأمة نصوصًا تحذر من هذه الآفة (٧) التي ابتلي بها المجتمع في زماننا حتى ترى بعضا

---

(١)- تفسير المراغي:ج٢٦ ص ١٤٠.

(٢)- سنن أبي داود ، كتاب الحدود باب رجم ماعز بن مالك (٤/ ١٤٨) رقم ٤٤٢٨.

(٣)- الجامع لأحكام القرآن: ج١٦ ص ٣٣٥.

(٤)- الصحاح في اللغة: الجوهري: ج١ ص ١٩٦.

(٥)- صحيح مسلم: رقم الحديث ٦٧٥٨ كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الغيبة (٤/٢٠٠١) رقم ٢٥٨٩.

(٦)-الجامع لأحكام القرآن: ج١٦ ص ٣٣٥.

(٧)- انظر: الترغيب والترهيب: المنذري: ج٣ ص ٣٢٩. وعيون الأخبار: الدينوري: ج٢ ص ١٦. والمجالسة وجوامع العلم: الدينوري: ج٦ ص ٨٦ و٣ ص ٥٤ و٤٢ ص ٢٥. ومكارم الأخلاق: الخرائطي: ج٢ ص ٢٠٧. والتوبيخ والتنبيه: الأصبهاني: ص ٨٣. وسير أعلام النبلاء: الذهبي: ج٨ ص ٨٧. وبغية

منهم تبريرا للغيبة يقدم بين يديها – الله يهديه فلان فعل كذا وكذا أو قال كذا وكذا. وهناك استثناء لهذه القاعدة – الغيبة – ذكرها الإمام القرطبي في القسم التاسع من تفسيره للآية ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ فقال: « ليس من هذا الباب غيبة الفاسق المعلن به المجاهر فإن في الخبر «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له» وقال ﷺ «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس» [1]، وروي عن الحسن أنه قال ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب الهوى والفاسق المعلن والإمام الجائر» [2]، وقال الإمام النووي « الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها **وهو ستة أسباب:**

الأول: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر فلا يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر فإن لم يقصد ذلك كان حراما.

الثالث: الاستفتاء فيقول: ظلمني أبي، أو أخي أو زوجي أو فلان بكذا فهذا جائز للحاجة لكن الأحوط والأفضل أن يقول ما تقول في رجل أو شخص أو زوج كان من أمره كذا فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين ومع ذلك فالتعيين جائز.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه منها:

– جرح المجروحين من الرواة والشهود. وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة.

– المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو معاملته أو إيداعه أو غير ذلك، أو مجاورته ويجب على المشاور ألا يخفي حاله بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة.

– وإذا رأى متفقها يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك فعليه نصيحته ببيان حاله بشرط أن يقصد النصيحة.

– أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها إما بألا يكون صالحا، وإما بأن يكون فاسقا أو مغفلا ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله، ويولي من يصلح أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به وأن يسعى أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفا بلقب كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى والأحوال غيرهم جاز تعريفهم بذلك ويحرم إطلاقه على جهة التنقص ولو أمكن تعريفهم بغير ذلك كان أولى [3].

ومن رحمانية الله أنه تعالى أعقب كل ما نهى عنه في الآية من ظن وتجسس وغيبة باستجاشة شعور التقوى والتلويح

الطلب في تاريخ حلب: ج٨ ص ٣٥٨٤. وشرح صحيح البخاري: ابن بطال: ج٩ ص ٢٤٥. والأذكار النووية: ص ٣٤٠. والزهد: وكيع بن الجراح: ص ٢٠٩.

(١)– رواه ابن أبي الدنيا في الغيبة رقم ٨٤ وابن حبان في المجروحين:ج١ ص ٢٢٠ وجاءت الحديث من طريق أبي الضحاك الجارود بن يزيد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وهذا إسناد ضعيف جدا يسبب الجارود بن يزيد، جاء في ترجمته في ميزان الاعتدال: كذبه أبو أسامة وضعفه علي وقال يحيى ليس شيء، وقال أبو داود غير ثقة وقال النسائي والدارقطني متروك وقال أبو حاتم كذاب: ج٢ ص ١٠٨.

(٢)– انظر: الجامع لأحكام القرآن: ج١٦ ص ٣٣٩.

(٣)– رياض الصالحين: ص ٤٥٠ و ٤٥١.

لمن اقترف من هذا شيئًا أن يبادر بالتوبة تطلعا للرحمة ﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾.

ومن بيان هذه النداءات للمؤمن أنها بدئت بالتقوى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله﴾ وختمت بالتقوى ﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾.

المطلب السادس: النداء السادس في سورة الحجرات

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

إذا كانت النداءات السابقة تخاطب المجتمع المؤمن ليرقى بهم في المدارج السامقة والأفق السامية ويحصنه من كل ما يفسده يأتي هذا النداء لتشترك فيه البشرية كلها– يا أيها الناس– خطاب عام كمثيله من الخطابات العامة – يا أيها الإنسان – يا بني آدم – يا عبادي– وتبقى هذه الخطابات على عمومها إلا أن تأتي قرينة تصرفها عن ذلك، فهو نداء يرد الناس إلى ذكرى نشأتهم الأولى من نفس واحدة، ويوقظ في وجدانهم شعور النسب والقربى ويذكرهم أخوتهم في المنشأ والمصير كما تشير الآية الأولى من سورة النساء ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ فهم شراك في وحدة الخلق ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يكن نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾[القيامة:٣٦-٣٩]، فعن جابر بن عبد الله قال: « مرت بنا جنازة فقام النبي ﷺ وقمنا فقال رجل يا رسول الله إنها جنازة يهودي، فقال: أو ليست نفسا ؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا»(١) وقوله ﷺ «أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»(٢) ، ومن ثم يشترك الآدميون في:

١- التكريم: ﴿ولقد كرمنا بني آدم ﴾ [الإسراء:٧٠].

٢- التقويم: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين:٤].

٣- التسوية: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم* الذين خلقك فسواك فعدلك* في أي صورة ما شاء ركبك﴾.

٤- نفي الظلم: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت:٤٦] ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ [الكهف:٤٩].

«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»(٣) .

٥- العدل: ﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة:٨].

٦- العهود: وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ [النحل:٩١].

٧ – الحوار: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ [سبأ: ٢٤] .

٨ – الأخوة البشرية: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ [الحجرات:١٣].

٩ – الجوار: وهذا الحق يترتب عليه مساعدته وعدم ظلمه قال ابن حجر: «واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار والقريب والأجنبي، والأقرب دارا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأولى كلها ثم أكثرها»(٤) . وأوضحت الآية ٣٦ من سورة النساء هذه المبدأ(٥) .

١٠ – الرحمة: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء:١٠٧] قال ابن عباس: «فهو عام في حق من آمن ولم

(١)- صحيح البخاري: كتاب الجنائز باب من قام لجنازة (٢/٨٥) رقم ١٣١١.

(٢)- سنن أبي داود: كتاب الأدب باب في التفاخر بالأحساب(٤/٣٣١) رقم: ٥١١٦ .

(٣)- صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم (٤/١٩٩٤)رقم ٢٥٧٧.

(٤)- فتح الباري: ج١٠ ص ٤٤٢.

(٥)- قوله تعال: ﴿وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب﴾.

لم يؤمن فمن أمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم»[(١)]، ولنأخذ نماذج من سيرته ليتضح لنا الأمر ففي قصة الطائف حينما آذوه أهل الطائف فقال: «أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده»[(٢)]، وفي فتح مكة «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[(٣)]. ومنها أنه لم يدع على مخالفيه فعن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال: إنما بعثت رحمة للعالمين ولم أبعث لعانا»[(٤)]، وفي رواية «عذابا»[(٥)] بل دعا لقومه رغم عدم الاستجابة لدعوته« اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[(٦)] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: جمع في هذه ثلاثة أمور: العفو عنهم والاستغفار لهم والاعتذار عنهم بأنهم لا يعلمون[(٧)]، وجعل تلميذه ابن القيم لهذا الدعاء أربع مقامات: إحداها عفوه عنهم، والثاني استغفاره لهم، والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال اغفر لقومي[(٨)].

فما أروع هذا النداء: ﴿يا أيها الناس﴾ والذي ينادي هذا النداء هو الذي خلقكم من ذكر وأنثى وهو الذي يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل إنها ليست التناحر والخصام فرغم نزوله-يا أيها الناس— لسبب[(٩)]، إلا أن عموم لفظه يسقط جميع الفوارق، وجسد خطاب رسول الله ﷺ ذلك جليا «يا أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أسود على أحمر ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى»[(١٠)]، ومن مشهور شعر علي بن أبي طالب.

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبــوهم آدم والأم حواء
نـفس كنفس وأرواح مشاكلة وأعـظم خُلقت فيهم وأعضاء
فإن يكن لهم من أصلهم حسب يفاخرون بــه فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء مـا قد كان يحسنه والجـاهلون لأهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تطلب بـه بدلا فالناس موتى وأهل العلم أحياء[(١١)]

ما أجمل هذا النداء— يا أيها الناس— أي الناس جميعهم من غير تعيين للّون والدين والطبقة والشخص، دون تمييز، وهنا عمد الإسلام ألا يكون لأحد ميزة على الآخر من حيث الخلقة لأن المنادي هو خالقهم جميعا فناداهم

(١)- جامع البيان: الطبري:ج١٨ ص ٥٥١.
(٢)- انظر القصة كاملة: كتاب المغازي باب غزوة الطائف. والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص ٤٢٠.
(٣)- السيرة النبوية لابن هشام: ج٤ ص ٩٤.
(٤)- الأدب المفرد مخرجا (ص: ١١٩) رقم: ٣٢١.
(٥)- الخصائص الكبرى في باب اختصاصه بأنه بعث رحمة للعالمين .انظر: مجموعة الأربعين من أحاديث سيد المرسلين يوسف بن إسماعيل النبهاني: ص ١٥٩.
(٦)- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار(١٧٥/٤) رقم: ٣٤٧٧.
(٧)- جامع المسائل: ج١ ص ١٦٧.
(٨)- بدائع الفوائد: ج٢ ص ٢٤٣.
(٩)- انظر: أسباب النزول الواحدي: ص ٢٩٥، ولباب النقول السيوطي: ص ١٨٢، الجامع لأحكام القرآن: ج١٦ ص ٣٤٢، المحرر الوجيز: ج١٥ ص ١٥٢.
(١٠)- مسند أحمد (٣٨/ ٤٧٤) رقم: ٢٣٤٨٩.
(١١)- ديوان علي بن أبي طالب: ص ٧.

من حيث اختلاف أجناسهم والمتفرقون شعوبا وقبائل وجعل الغاية والهدف التعارف «لتعارفوا»[(١)]، والتعارف من خصائص الإسلام فرب محمد ﷺ ليس ربا محليا أو إقليميا أو عرقيا أو عنصريا بل هو ﴿رب العالمين﴾ [الفاتحة:٢] ﴿برب الناس﴾[الناس:١]ورسوله أرسله ﴿رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء:١٠١] ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ [الأعراف:١٥٨] ﴿وما أرسلناكم إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ [سبأ: ٢٨] وقولهﷺ «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت للناس كافة»[(٢)]، والدين كله ليس للعرب وحدهم ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ [ص:٨٧] ﴿إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾ [الأنعام:٩٠]، فإذا كان الرب رب العالمين ورسوله عالميا ودينه عالميا وقرآنه عالميا فلا بد أن يدعو هذا الدين للتفاعل مع العالمين، وللتعارف مع شعوب العالمين ميزات، منها:

١- انتفاء نية النزاع والصدام.

٢- انتفاء النزعة الاستعلائية وشهوات الهيمنة.

٣- انتفاء ازدواجية المعايير في التعامل من قبيل ﴿ليس علينا في الأميين سبيلا﴾ [آل عمران : ٧٥] أو كما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون «إنما الأمميون حمير وكلما نفق حمار ركبنا حمارا آخر»[(٣)].

هذا من حيث السلب أما من حيث الإيجاب، فمن ميزات التعارف:

١- الاعتراف بالحق في الوجود والتنوع والاختلاف.

٢- الاستماع المتبادل للأفكار والتصورات.

٣- تبادل العلوم والمعارف دون احتكار لها.

وهذا في مجال التعاون بين العالمين قال مستر جب في كتابه – إلى أين يتجه الإسلام-: «لكن الإسلام ما زال في قدرته أن يقدم للإنسانية خدمة سامية جليلة فليس هناك أي هيئة سواه يمكن أن تنجح نجاحا باهرا في تأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جهة واحدة أساسها المساواة»[(٤)]، والإنسان متعاون مع أخيه الإنسان وهذا من سنة الله في خلقه – ولولاه لما استطاع أن يبدأ حياته ولما استمر توالد الإنسان، ومنذ أن خلق الله آدم خلق له حواء ليتعاونا معا على إخصاب الحياة وإيجاد الذرية وإنشاء المجتمع، فالتعاون ظاهرة قديمة جدا قدم الخلق، انتقل من الاثنين إلى الأسرة ومن الأسرة إلى القبيلة ومن القبيلة إلى الأمة إلى المجتمع كله، وقد ضرب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المثال الناصع بهذا المفهوم فقد رأى ضريرا يسأل على باب، فسأل عنه، فعلم أنه يهودي فقال له: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله فأعطاه ما يكفيه ساعتها، وأرسل إلى خازن بيت المال. انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم»[(٥)].

---

(١)- وقرأها الأعمش «لتتعارفوا» وقرأ عبد الله بن عباس «لتعرفوا» أن على وزن تفعلوا بكسر العين وفتح الألف من أن وبإعمال لتعرفوا فيها. ويحتمل على هذه القراءة أن تكون اللام في قوله «لتعرفوا» لام كي ويضطرب معنى الآية مع ذلك، ويحتمل أن محذوفا تقديره الحق، وإذا كانت لام كي فكأنه قال: يا أيها الناس أنتم سواء من حيث أنتم مخلوقون لأن تتعارفوا ولأن تعرفوا الحقائق ، المحرر الوجيز: ج١٥ ص ١٥٤. وقال ابن جني: «لتعرفوا» وفي الآية حذف: المفعول به» . المحتسب: ج٢ص٤٠٧.

(٢)- وهذه خصوصياته ﷺ فعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» .صحيح البخاري: كتاب التيمم باب ١ (١/ ٧٤) رقم الحديث ٣٣٥.

(٣)- بروتوكولات حكماء صهيون: محمد خليفه التونسي.

(٤)- مقال نشر ١٧ سبتمبر ٢٠٠٨ يبرز فيه وساطة الإسلام في صحيفة الاتحاد.

(٥)- المجتمع المتكافل في الإسلام: الدكتور عبد العزيز الخياط: ص ٢٣٢.

وختمت السورة النداء بخصلة ترقى بالإنسان إلى السمو والرقي ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، قال الإمام القرطبي: «وفي هذه الآية ما يدلك على أن التقوى هي المراعى عند الله تعالى وعند رسوله دون الحسب والنسب، وقرئ {أن بالفتح. كأنه قيل لم يتفاخر بالأنساب؟ قيل لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم»[(١)]، وقال الإمام الطبري: «إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم أشدكم اتقاء له بأداء الفرائض واجتناب معاصيه لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة»[(٢)].

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١. تستهدف سورة الحجرات صلاح الفرد المسلم والمجتمع المسلم من خلال استهداف تطهيره وتنقيته من جهة ومن خلال تطويره وتنميته من جهة أخرى.

٢. تتجه النداءات في سورة الحجرات اتجاهين رئيسين: اتجاه النهي لتجنب السلبيات، واتجاه الأمر لتنمية الإيجابيات، وهذان الاتجاهان هما من أهم ركائز التربية الإيمانية للفرد والمجتمع.

٣. من المناهي السلبية التي حققتها النداءات في السورة: النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله بشيء من الأشياء، والنهي عن التساهل في احترام النبي صلى الله عليه وسلم، والنهي عن الظن السيئ والسخرية واللمز والتنابز بالألقاب والغيبة والنميمة والتجسس والتحسس.

٤. ومن الأوامر الإيجابية التي حققتها النداءات في السورة: التثبت في التعاملات المجتمعية، والفطنة لأصحاب الفتن والمستهدفين تمزيق المجتمع، وحمل الناس على الخير وحسن الظن بهم ما داموا مظهرين الخير مداومين عليه، وتشجيع أسس التقارب والتعارف بين أفراد المجتمع، والتنافس بالعمل الصالح والتشجيع عليه، والمبادرة الدائمة بإصلاح أي خلل أو مشكلات تضر بالفرد والمجتمع.

٥. وضعت النداءات في السورة عددا من السياجات التي تحفظ للفرد والمجتمع كرامته وإنسانيته، والتي تدعوه للفاعلية الإيجابية المثمرة.

ومن تلك السياجات التحصينية للفرد والمجتمع: الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، وتعزيز التلاحم المجتمعي من خلال بناء الأخوة والمحافظة عليها ومعالجة كل ما يضر بها، واستهداف نظافة المجتمع من أمراض التدمير والتفكيك، كالتفاضل على أساس عرقي أو طبقي، وكتحقير الناس والسخرية منهم أو ملاحقتهم وإقلاق سكينتهم.

٦. بينت نداءات السورة أن استهداف الصلاح للمجتمع لا يخص المؤمنين فقط، وإنما يشمل كل أفراد المجتمع أيا كان دينهم وجنسهم.. وبينت أن الفرق بين المؤمن وغيره في المجتمع المؤمن إنما هو في زيادة التكاليف والمسؤوليات على المؤمن بحكم أنه يجسد المثل العليا في الدين الحق.

٧. أكدت النداءات في السورة أن المجتمعات تبنى على جهود كل أبنائها من غير تمييز حتى على مستوى الدين والملة. فالبشرية جميعا تشترك في إقامة حياة سعيدة فاضلة أو العكس. وغير المؤمنين مخاطبون بإنسانيتهم وعقولهم على الأقل.

٨. موجب النداء في قوله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم

(١)- الجامع لأحكام القرآن: ج١٦ ص ٣٤٦.

(٢)- جامع البيان: ج٢٢ ص ٣١٠ .

عند الله أتقاكم﴾.يظهر من ثلاث جهات: الأولى هي: أن الإسلام دين عالمي، وهو قادر على أن يقدم للإنسانية خدمات سامية جليلة فليس هناك أي هيئة سواه يمكن أن تنجح في تأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جهة واحدة أساسها المساواة، وهو قادر على تعزيز رفعة البشرية ورقيها في كل اتجاه.

والجهة الثانية هي: أن الأصل بين البشر هو التعارف والتعاون والمساواة، ولا يفرق بينهم سوى العمل بما يقربهم للتقوى والصلاح.

والجهة الثالثة هي: أن ما يجمع البشر من الروابط أكثر مما يفرقهم من المصالح، والأصل أن يعيشوا على هذا الأساس في وئام وسلام.

ثانيا: التوصيات:

وصيتي للباحثين أن يستهدفوا إبراز الهدايات القرآنية في أبحاثهم، فالقرآن هو أساس الصلاح ومنهاجه. وأؤكد على أن يقصدوا الجوانب الاجتماعية الملحة في هذا العصر، فيكون في ذلك بيان ودعوة وإصلاح في نفس الوقت.

المصادر والمراجع

(١) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٢) أحكام القرآن: أبو بكر بن العربي المالكي: (ت٥٤٣هـ)، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

(٣) الأحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد التغلبي الآمدي سيف الدين أبو الحسن (ت٦٣٦هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي.

(٤) أخلاق العلماء: أبو بكر بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي (ت٣٦٠هـ)، إدارة رئاسة البحوث العلمية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(٥) الأذكار النووية: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت٦٧٦هـ)، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٦) أسباب النزول: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، دار الإصلاح ـ الدمام، المملكة العربية السعودية.

(٧) أسلوب النداء في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية في السور المكية: عبد الرحمن بن أحمد المقري، رسالة ماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها : جامعة مؤتة، ٢٠٠٧م.

(٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد بن أمين محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، دار الفكر. بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٩) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين (ت٧٧٤هـ)، الطبعة العلمية.

(١٠) البرهان في تناسب سور القرآن: أحمد بن إبراهيم الزبير الثقفي الغرناطي أبو جعفر (ت٧٠٨هـ)، دار إحياء التراث، بيروت ـ لبنان.

(١١) بغية تاريخ الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين بن العديم عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر.

(١٢) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

(١٣) التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى بابي الحلبي، ١٩٧٦م.

(١٤) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

(١٥) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

(١٦) تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، البابي الحلبي، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

(١٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

(١٨) تناسق الدرر في تناسب السور: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

(١٩) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الأزهري أبو المنصور (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

(٢٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢١) جامع البيان في تفسير آي القرآن: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢٢) الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد، القرطبي: (ت٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

(٢٣) الحجة للقراء السبعة: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، ١٩٧١م.

(٢٤) حلية الأولياء وطبقة الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت٤٣٠هـ)، دار الخانجي، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٢٥) ديوان الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة أبو فارس الفرزدق، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٢٦) ديوان علي بن أبي طالب، جمع وترتيب عبد العزيز كرم، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى.

(٢٧) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م

(٢٧) الرسالة: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق : أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، القاهرة.
(٢٨) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
(٢٩) رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين: محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار ابن الجوزي، تحقيق : علي بن الحسن بن علي الحلبي الأثري ـ الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
(٣٠) سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني: تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العلمية، الطبعة الأولى.
(٣١) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي أبو عيسى (ت٢٧٩هـ، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة بابي الحلبي، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
(٣٢) سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي (ت٢٥٥هـ)، دار البشائر الإسلامية.
(٣٣) شرح صحيح البخاري: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت٤٤٩هـ)، مكتبة الرشد ـ السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
(٣٤) صحيح ابن حبان: محمد بن حبان أبو حاتم البستي: (ت٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
(٣٥) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، بيروت ـ لبنان.
(٣٦) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي.
(٣٧) العبودية: أحمد بن عبد العليم بن عبد السلام بن تيمية تقي الدين أبو العباس (٧٢٨هـ)، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، تقديم عبد الرحمن الباني ـ تحقيق : محمد زهير شاويش.
(٣٨) عيون الأخبار: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد (ت٢٧٦هـ)، دار الكتب المصرية.
(٣٩) الفروق اللغوية: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق : محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة.
(٤٠) فضائل القرآن: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
(٤١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد بن عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة ـ بيروت، لبنان.
(٤٢) الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو بشر الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
(٤٣) كتاب الزهد: وكيع بن الجراح (ت١٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الغريوائي، مكتبة الدار.
(٤٤) لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: (ت٩١١هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
(٤٥) لسان العرب: محمد بن مكرم علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي: (ت٧١١هـ)،

دار صادر . بيروت، الطبعة الثالثة.

(٤٦) اللمع البهية في قواعد اللغة العربية: محمد محمود عوض الله، دار الأرقم، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(٤٧) المجتمع المتكافل في الإسلام: عبد العزيز الخياط، الطبعة الثالثة: دار السلام، ١٩٨٦م.

(٤٨) مجموعة الأربعين أربعين من أحاديث سيد المرسلين: يوسف بن إسماعيل النبهان، مصطفى بابي الحلبي (١٣٣٠هـ).

(٤٩) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، عثمان بن جني أبو الفتح الموصلي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الطبعة الثانية.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد (ت٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.

(٥٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ)، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٥١) مسند الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال ابن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(٥٢) معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب ١٤٠٨ . ١٩٨٨م.

(٥٣) المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني أبو القاسم (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية.

(٥٤) المعجم الوسيط: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٥٥) مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

(٥٦) المقتضب: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الآزدي: أبو العباس المبرد (ت٢٨٥هـ)، عالم الكتب، بيروت.

(٥٧) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٥٨) الموطأ: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي الحميري المدني (ت١٧٩هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، مصطفى بابي الحلبي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

(٥٩) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج (ت٥٩٧هـ)،تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٦٠) النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد ابن الجزري (ت٧٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.

(٦١) وجوب العمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكفر من أنكرها: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية، الرياض . المملكة العربية السعودية.